بقايا عشق

الجزء الأول

روايـــــــة

الطبعـة الأولــى
2020م - 1441هـ

ديـــــوان العــرب
للنشر و التوزيـع

ملحوظـــــــــةٌ: حقوق الطبع جميعها محفوظة للمؤلف

عنـــوان الكتاب: بقايا عشق " الجزء الأول "

اســـم المـؤلف: نبيل عبد الرحمن

التصنيف الأدبي: رواية

رقم الإيـــــداع: 9236 / 2020

الترقيـــم الدولي: 9 - 60 - 6792 - 977 – 978

تصميـــم الغلاف: محمد وجيه

التدقيـق اللغوي: هبة ماردين

التنسيق الداخلي: محمد وجيه

رقـــــم الطبعـة: الطبعة الأولى

المديـــــر العام: فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر - بورسعيد

جوال: 00201211132879

البريد الإلكتروني: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشـــر الكلي أو الجزئي، أو نســـخه أو تصـــويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شـــبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مســـبق من المؤلف أو الناشر.

بقايا عشق الجزء الأول

رواية

نبيل عبد الرحمن

إهداء

أهدي روايتي إلى ...

الصديق الصدوق الشاعر المبدع سيد خطاب...

الأديبة المتألقة جهاد السيد...

شقيقاتي و نبضات قلبي " أم طلال – أم أحلام "...

صديقي و أخي الغالي جمال العربي...

دائما معي بكل ما أوتيتم من قوة لدعمي و تحفيزي لمواصلة المسير بدرب الأدب...

إهداء خاص...

لمن كانت هي سر الحياة و كل الحياة و الروح التي تسري بجسدي

والدتي رحمها الله ...

إلى زوجتي شريكة الكفاح ... و إلى فلذات كبدي و قرة عيني

أهديكم جميعا نبض حروفي و وميض كلماتي

و أتمنى أن تنال رضاكم

نبيل عبد الرحمن

****

استهلال

سلام على من أتاهم الحب زائراً واتخذوه ساعداً وخليلاً
و ألف حسرة على من غادرهم الحبّ سريعاً
وكأنما كان بينهم مذنباً ودخيلاً

****

١٣يناير ٢٠١٨
المملكة العربية السعودية

في إحدى مدن منطقة الرياض...

وبأحد البيوت الشعبية العتيقة.. حيث نقيم نحن الطيور المهاجرة محلقين في فضاء غربتنا بحثاً عن الذات.... وآملين في بناء غدٍ أفضل تأخذ فيه أحلامنا لون الحياة.. عوضاً عن أوطانٍ لم تسعنا أحضانها.. ويأتي وقت عودة الجميع من أعمالهم بعد صراعٍ مع الشقاء دام ساعات... مصطحباً معه غربة تملّكت الروح والجسد، يأتي رفقاء الغربة ومنهم صديقي حسن ليجدونني أتحدث عبر برنامج الماسنجر مع إحداهن ودمعاتي تملأ خديّ كأنها دمعات الشموع التي تستمدُ تواصلها من احتراق صاحبها... حاولت الفرار بهاتفي بعيداً كيلا يعلم صديقي حسن بما يحدث لي ولكنني لم أستطع... وفجأة تضعف قوتي ويتسلل الظلام قبل أوانه إلى عينيّ ويتطاير الوعي من رأسي فلا أدري أين أنا، ولا مَن أكون..!! ولا ماذا أفعل...؟!

وكأنما انفجرَ بداخلي بركانٌ ثائر!! أخذت نيرانه ومواده الملتهبة تتجول بداخلي سارية من منبعها القلب سالكة مجراها حيث العقل وسائر الجسد لأسقط أرضاً كشجرةٍ جدباء جفَّ عودها، وجدت نفسها فى مهبِّ الريح وحيدة...

ولم تستطِع الثبات فانهارت، ويحملني الرفاق مستقلين سيارة أحدهم مسرعين نحو أقرب مستشفى....

ويحمل هاتفي صديقي حسن ليجد ذاك الصوت الخافت المنبعث من خلاله

_الو... علي... رد عليا

فيقوم حسن بالرد عليها:

-السلام عليكم، أنا حسن صاحب علي، ثم أردف قائلاً:

-علي حصلت له حالة إغماء واحنا رايحين به المستشفى

صمتت ثوانٍ كأنّها تتدبر الأمر ثم قالت:

_ممكن أتصل تاني أتابع علي وأطمن عليه لو سمحت؟

أجابها حسن بالقبول قائلاً:

_أكيد الفون بتاع علي هيكون معايا لحد ما يستعيد وعيه تقدري تتصلي أى وقت

_شكراً

ويقومان بإنهاء المكالمة، ولم تستوقف حسن تلك المكالمة من فتاة غريبة لا يعلم عنها شيئاً، رغم أنّه الصديق والرفيق والخليل الملم بكلّ تفاصيل حياتي. ولكن تلك هي سُنة الحياة، دائماً حين يكون لكلّ منا خصوصياته

التي لا يعلمها سوانا إلا من خلقنا وأحسن صورنا فسوانا... حينما قرر حسن الرد عليها أراد أن يعلمها بحالي لعلّها كانت السبب أو ربما تعرف ما السبب فيما قد أصبحت عليه أنا من حالة يرثى لها، إنّه حقاً يجيد التصرف لأنّه لو كانت المتصلة إحدى شقيقاتي لما أعلمها حسن بحالي كيلا ينفطر قلبها خوفاً عليّ ولكنّه ويبقى حسن المخلص الذكي رفيقي الدائم كظلّي...

ليتني في هذا الوقت بكامل قوتي وأستطيع أن أخبر حسن عن تلك الفتاة، إنها ليلى أحمد جعفر، الحاصلة على بكالوريوس هندسة، جامعة عين شمس، تبلغ من العمر ٢٦ عاماً، فتاة سمراء، بدينة، أنهت دراستها الجامعية لكنّها لم تعمل بعد..

في غرفة الاستقبال بالمستشفى يحملونني فوق أحد السرائر المزودة ببعض التقنيات التي تتناسب مع المرضى، ويأتي أحد الموظفين لإنشاء ملفٍ تعريفيٍّ عن حالتي

علي الدين يوسف عبد الرحمن.

أبلغ الأربعين من العمر. فأنا مواليد شهر فبراير من عام ١٩٧٨ م ..

أحمل هوية إقامة سعودية ورقمها.....

المهنة: مراقب عمال بإحدى شركات المقاولات العامة والإنشاءات المعمارية

وأما عن باقي التفاصيل التي لم يسألوا عنها..

الحالة الاجتماعية.... أرمل

الأبناء.... ابنتان توءم... هبة علي الدين... ومنة علي الدين.

محل الإقامة بمصر... قرية ميت العامل، مركز اجا، محافظة الدقهلية

وبعد حوالي نصف الساعة يأتي الطبيب المختص ليسأل الرفاق عما حدث لي، فيخبروه بما رأوا إنّه يبدو أنّها كانت مكالمة هاتفية تخفي وراءها لغزاً كبيراً، لا يعرفه أحد حتى صديقي حسن... رفيق الطفولة والدراسة والعمل حيث غربتنا التي لم تغرقه في بحور غيابها مثلما غاب عنا الجميع بسببها.

ويقوم الطبيب باستدعاء معاونيه من أجل استكمال الفحوصات اللازمة ابتداء من قياس درجة الحرارة. اختبار حالة الضغط. وسحب عينة من الدم لفحص نسبة السكر... ويستمر الحال بي هكذا ثلاثة أيام متتاليات، حيث أخبرهم الطبيب بحالتي هبوط حاد في الدورة الدموية، وكأنما أصاب القلب جرحاً أفقده صوابه، فبدلاً من أن يقوم القلب بضخ الدم حيث الشرايين والأوعية الدموية قام بنزف تلك الدماء تأوهاً ودموعاً... ومن أعراض ذلك الهبوط اللعين، فقدان القدرة على التركيز والعطش والتعب والإجهاد وعدم اتضاح الرؤية والاكتئاب وضيق التنفس...

إنني فقدت الرغبة في الحياة وقتها لا أريد المزيد منها.

في مساء اليوم الثالث نصحهم الطبيب باصطحابي خارج المستشفى وإعادتي إلى حياتي الطبيعية مع الاهتمام الجيد بإطعامي وعدم إرهاقي نفسياً وعصبياً أو جسدياً مع الالتزام ببعض الأدوية في مواعيدها حتى أستعيد عافيتي....

عدت إلى غرفتي رفيقة غربتي وسريري الحنون اللذان كانا دائماً أحن عليّ باحتوائهما لي من قلوب بعض البشر...

وطلبت من حسن أن يتركني معتمداً على نفسي متقبلاً ما آلت إليه حالتي مستعيناً على قضاء حوائجي

بالصبر والتعايش مع الأمر الواقع برضاء وسلام... أهمس من الأرض مناجياً متيقناً من وصول دعائي عنان السماء...

وعادت الحياة لطبيعتها... يخرج حسن والرفاق كل يوم صباحاً إلى عملهم لا يعودون إلا في المساء... فلم أجد في غربتي صديقاً أحن عليّ من قلمي ولا صدراً يتسع لكلّ ما يجول بخاطري غير ورقاتي... فاتخذت منهما صديقين نتشارك كل دمعاتي... فلا القلم بناطقٍ بغير ما أشعر... ولا الورقات ستأبى حمل مأساتي.

الكثير من أهلي وأحبتي يعلمون عشقي كتابة الشعر ولكن ربما لا أحد منهم يعلم أيضاً عشقي كتابة القصص والروايات... فقد كتبت الشعر كثيراً أما الرواية فكانت تجارباً غير ناضجةٍ لا زلتُ أتذكرها رغم مرور زمن طويل لم أعطِ فيه تلك الموهبة الاهتمام اللائق بها... فأنا لم أستكمل مشواري التعليمي فأنا ابن الزوجة الأولى، لامرأة لديها أربعة أبناء من رجلٍ هجرها وتزوج بغيرها ويعيش حياة مستقلة مع زوجته الأخرى وأبناؤه منها أما نحن فكنا نعيش برفقة والدتي.

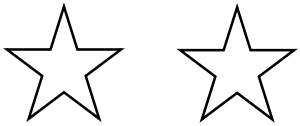

٣٠ أغسطس ٢٠٠٣

فى بيتنا الأشبه في تكوينه بصندوق الدنيا كما كنت أراه. حيث ضيق المساحة واتساع الآفاق وتنوع الملحميات وكأنما هو نافذة على العالم، فبرغم صغر مساحة ذلك البيت إلا أننا تربينا فيه أنا وأشقائي لم نشتكِ ضيق العيش وكأنما كنا نمتلك الدنيا بأسرها... نعم فإن لي أمٌّ عطوفٌ حنونٌ تحمد الله على كسرة خبز نتقاسمها فتشبعنا رضاءً وقناعة وعلى راحة بال وستر يختبئون خلف باب هذا المنزل أتجول في أركان بيتنا الصغير مودعها فعندما يأتي المساء سيشهد الأهل والأقارب عرسي.... إنه يوم زفافي... وتشهد جوارحي صراعاً دموياً ما بين الحاضر والماضي... اليوم الملم ملابسي وأشيائي من ذلك البيت الصغير راحلاً بها إلى عش الزوجية الجديد حيث استأجرت مسكناً جديداً أستقبل فيه حياتي القادمة برفقة زوجتي مفارقاً أمي الحبيبة. حيث أن بيتنا القديم الذي تقطن فيه أمي ماهو إلا جزءٌ صغيرٌ مقتطفٌ من بيت جدي عن الأم... كان هو إرث أمي ونصيبها..

وقد اضطرت والدتي مسبقاً لبيع ذلك البيت إلى خالي الأكبر شقيقها حيث استعانت بثمنه في قضاء احتياجات أختي مها في طارئة زواجها... بينما كنت أنا وأشقائي. أحمد ومحمد مازلنا نرسم سبلنا في حياتنا القادمة فنحن الثلاثة

شباب في عمر الزهور لن يقوى أحدنا على تحمل نفقات البيت وتوفير الأدوات المنزلية اللازمة لتجهيز شقيقتنا... ووعدها خالي أنّه لن يطالبها بإخلاء ذلك المنزل ما حييت طوال حياتها... وتأتي أمي لترى نظراتي الثاقبة لكل ركن في ذلك المنزل، وتقترب مني قائلة:

_ مالك يا علي؟ النهاردة أسعد يوم في الدنيا، فرحك يابن عمري.

أجبتها بحنين محبٍّ واشتياق ابن حان الوقت لانتزاعه من دفء بيته وحضن والدته متجهاً إلى حياة جديدة قائلاً:

_أنا الحمد لله بخير يا أمي، لكن مش هقدر أسيبك تعيشي لوحدك في البيت ده.

كفكفت دموع فرحها وقالت بهدوء وسكينة

_البيت ده بيت إخواتي وأهلي قضيت عمري فيه ماينفعش أخرج من بيت تمليك وأقعد معاك أو مع إخواتك في شقة إيجار أو أقعد عزول بين عريس وعروسته

أجبتها باعتراضٍ قائلاً:

_بس البيت ملك خالي من مدة يا أمي واحنا حالياً هنا ضيوف.

أجابت مبتسمة وراضية:

_ خالك ده يبقى أخويا مش حد غريب يعني أقعد هنا كأنه بيتي،

ثم أردفت قائلة وهي تحاول إعادة ذهني إلى ما ينتظرني بالخارج:

_وبعدين سيب الكلام ده كله لبعدين،

ثم دنت مني ربتت على كتفي قائلة:

_ركز في فرحك يابني دي فرحة عمرك وفرحة قلوبنا كلنا بيك النهاردة.

سحبت يدها بهدوء لأقبلها، أتحسسُ جيشاً من الدموع يختبئ داخل عينيها يود الهطول حبّاً وشغفاً ثم أومأت لي برأسها أن تدبر أمر ليلتك وهيا بنا لنبدأ ذلك الاحتفال.

ويأتي الليل بالأفراح مبتهجاً كيوم العيد بعد صيام، ما أجمله من يوم حقاً إن الإنسان يولد باكياً، ويفارق الحياة باكياً، ولا أفراح يشهدها طوال حياته تعادل ذلك اليوم.

يوم الزفاف... أعددت كل المراسم التي تجعل ليلة زفافي أهنأ أيام عمري.. استدعيت فرقة زفاف متواضعة.... واستدعيت الفرّاشة تملأ شارعنا الكبير كله بالمقاعد والإنارة لتجعل الشارع يبدو كعقد لؤلؤ منير يجذب أنظار الجميع.... اتخذت من اللون الأسود رداءً لي فلكم كنت أعشق هذا اللون الذي يشعرني بالرضا التام عن المظهر.. ودمجت معه اللون الأبيض من خلال

قميص وجوارب بيضاء، واخترت ربطة عنق ذات لون أحمر جذاب، ليصنعوا مع اللون الأسود المرصع ببعض الزرائر الفضية. معزوفة العشق والخيال اللذان سوف ينعكسان من خلال ملامح وجهي التي أضفت عليها أحدث القصات والتسريحات المنتشرة بهذا الوقت.... وعندما خرجت من غرفتي بدأت أمي وأختي النظر إليّ بعيون ملؤها البهجة وأخذتا تقولان بسم الله ماشاء الله، الله أكبر، استقبلت ترحيبهما بنشوة طفل صغير يتطلع إلى الوثوب في الهواء ليلاً ليلامس القمر بكفيه..

وذهبت برفقتهما لأصطحاب العروس إلى ذلك الموكب البديع الذي أعدوه ليشهد زفافنا بين جموع المحبين.. وكأنها الجنة في انتظارنا... الجميع يرتدي أبهى ملابسه.. الابتسامة لم تفارق شفاه الكبير ولا الصغير... وتمنحنا المشيئة أول يوم نحتسبه بداية العمر وأجمل مكافأة عن كل ما عانيناه من ظروف ماضية....

أما عن سماح عروسي الجميلة فقد كانت ارتسمت ملامحها بين الفستان الأبيض وغطاء الرأس الشفاف ومساحيق التجميل المميزة والموضوعة بإتقان وكأنها حورية هبطت من الجنة.. سررت كثيراً برؤيتها هكذا.. حمدت الله كثيراً على ما وهبني من كل تلك النعم.....

وتمر الأيام سريعاً... واتخذت من سماح الزوجة والأخت، اختفيت كثيراً عن أصدقاء مرحلة الشباب والعزوبية.... فأنا أعمل بالمقاولات في المدن الجديدة وبدأت أستكمل رحلة كفاحي مع الحياة بعودتي مجدداً إلى عملي... فأنا ابن تلك السيدة الصبورة التي تعلمت منها الصبر والسعي والاجتهاد... ولكن حياتي الزوجية التي استقبلتها بنشوة وشغف لم تسِر بنفس الطريقة التي تمنيتها طوال عمري وحلمت بها، فنحن، أنا وزوجتي لم تهِم أرواحنا في السماء عشقاً ولم نصنع حياةً تختلف ظاهرياً عن الآخرين... رغم كامل السعادة الزوجية إلا أنّ العلاقة كانت أحياناً يشوبها الملل والرتابة...

سماح كانت جارتي التي تصغرني بخمسة أعوام كانت ابنة لأمٍ وأبٍ مثاليين... يُحتذى بهما كمثالين صالحين لأفضل الآباء وأصلح الأمهات، كنت راضياً عن هذا جداً حالماً بأن نكون مثلهما مستقبلاً وتمر الأيام بهدوء وبعد عامين من الزواج .

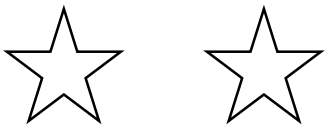

مايو ٢٠٠٥

يجتاحني شعور عارم يملأ قلبي غيرةً وحقداً إنّ سماح تهتم بأعمالها المنزلية أكثر مما تهتم بي، لم أعِش معها ذلك العشق الذي طالما حلمتُ به، فيثير هذا غضبي، حاولت جذب انتباهها، وددت إعلامها بذلك الفراغ العاطفي الذي أشعر به رغم وجودها، أين هي، ما دورها في حياتي لو لم تداعب القلب وتمتلك نبضاته حباً ودفئاً فعاتبتها قائلاً:

_سماح، أنا ليه مش حاسس منك باهتمام؟

...سألتها وكأنني ألوم حظي في الهوى.

"أيها العشق الذي طالما حلمت به، أين أنت، إنني متعطشٌ لاجتياحك لي، إنني أعددتُ ما تبقى من عمري القادم لاستقبالك.. أنا متشوقٌ جداً إليك.. أنتظركَ منذ أمدٍ بعيد... لماذا لم تطرق بابي حتى بعد زواجي؟ لماذا تهملني هكذا؟!! "

اعتلت شفتيها بسمة كذوب فهي لا تنكر صحة كلامي، لكنها كعادة معظم الزوجات، يضعن كل حرصهن في الحفاظ على بيوتهن وحياتهن.. إنهن يمتلكن أبصاراً حسية، وقلوباً شفافة ترى ما لا تراه أعيننا، فلا تكذيب لمشاعرهن، فإنهن يمتلكن حواسَ ربما تكون صادقة، لا نمتلكها نحن

الرجال ولكنها واصلت حديثها معي محافظة منها على مملكتها، فأجابتني قائلة:

_أنت غلطان ياعلي أنا بحبك وراضية عن حياتي معاك وأنت عارف كده كويس.

ثم أردفت قائلة:

_وإن شاء الله لما ربنا يكرمنا بالبنوتة القمراية اللي بنحلم بيها هتكسر الملل وتحلي حياتنا أجمل....

استوقفتني كلماتها للحظات.... فإنه بيني وبين الأطفال قصة عشق لا تنتهي، فلكم حلمت أن أكون أباً لتلك الطفلة التي يغار منها القمر حسناً، تطرح في قلبي بساتين الجنان حين يقولون إنها تشبهني كثيراً... حقاً تشوقت إلى وجودك يا ملاكي الغائب المتمثل في تلك الابنة التي بوجودها سأكتفي بما قدّره الله لي في دنياي وأهبها القادم من أحلامى.

أواصل حواري مع سماح معاتباً إياها بحبٍّ وودٍ قائلاً:

_إنتي ليه مش بتحاولي تحتويني، وتقربيني منك أكتر.

تجيب باستنكارٍ قائلة:

_أنا مش مقصرة معاك في حاجة.

يبدو من نبرة صوتها أنّ لديها الكثير الذي تود إخفاءه ولكنها لا تقوى على ذلك فلاحقتها بالرد قائلاً:

_ يا سماح أنا متمسك بيكي، لكن حاسس إني مش قادر أسعدك. وإنتي كمان مش قادرة تسعديني.

أجابت قائلة:

_ممكن عشان كنا جيران وكنا بنلعب سوا واحنا أطفال مقدرناش نشوف بعض أوضح بنظرة زوج وزوجة لكن بإذن الله أكيد هنتعود.

حاولت التودد إليها وإعلامها أنني باحتياجٍ إلى اهتمامها واحتوائها وأعلمتها عن أسباب اختياري لها دون غيرها، وامتدحت صفاتها ونسبها فأخبرتني بما لم تفصح به معي مسبقاً.

_بس كل ده مش كفاية يا علي.

نظرتُ إليها قلقاً ومتعجباً، أترقب ما تود أن تبوح به والذي ربما كانت تكنه بداخلها كثيراً ولكن يبدو أنه حان الوقت لتخبرني به فتقول مبتسمة بوجع:

_إنت اتجوزتني عشان قادر على مهري البسيط وأهلى رحبو بيك لكن أنا عمري ما كنت فتاة أحلامك.

أحسست وقتها أنّها تشعر بالإهانة والاستياء فقاطعتها قائلاً:

_ مش لازم الناس كلها تحب قبل الجواز... حب العشرة أقوى ويزيد مع الوقت.

نظرت أرضاً ثم قالت بوجعٍ:

_أكيد طبعاً، لكن تفتكر اللي يرسم صورة معينة لفتاة أحلامه ويختصر كل أحلامه فيها لما يتجوز إنسانة عادية مش بنفس جمال ومثالية الصورة دي.. تفتكر هيقدر يحبها ويكتفي بيها؟

حاولت المراوغة وإقناع سماح أنّها مخطئة لكن دون جدوى..

وبالنهاية استسلمت لما ادعته فهي تقريباً أقرب للصدق مني.. أنا أبحث عن حبٍّ لم أمنحه إياها فمن أين لها أن تأتيني به؟!

كيف يحدث ذلك معي وأنا على الدين أيقونة العشق... يعلم الجميع عن رومانسيتي الثائرة ذاتياً بلا قبلة لأحلامها..

سماح محقة فيمَ تقول، فإن فتاة أحلامي مختلفة جداً

إنها تلك الفتاة التي لازمت خيالي وكأنني كنت أراها حين كنت جنيناً في رحم أمي..

أين أنتِ يا من تغنت بك قصائدي قبل أن تراكِ عيناي؟!

أين أنتِ يا من أنارت بضياء جبينها القمري ليل عمري ورأتها عيناي قبل أن يراني النور.... أشفقت على سماح فهي محقة فعلاً، فكم من ليلةٍ باتت تجمع قصائدي التي أبكي فيها ليلاي معاتباً إياها عن غياب جبينها القمري عن سماء عشقي... ونسيت أنّ سماح تقرأ أشعاري وكلماتي وتعي ما فيها جيداً... فإنها متأكدة تمام التأكد أنّ قلبي لا زال خاملاً لم يشتعل عشقاً بها وكأنما قد استحوذت عليه تلك الغائبة ولم تدع لغيرها مكاناً.

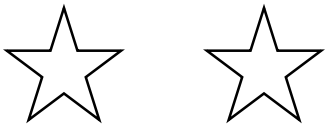

يوليو ٢٠٠٧

يأتي شقيقي الأكبر أحمد إلينا مباركاً عمّا سمع من أخبار حمل سماح بعد قرابة أربعة أعوام منذ زواجنا. وحين رآني أقبلَ نحوي مبتسماً قائلاً:

_ ألف ألف مبروك يا لول يا حبيب قلبي... أخيراً هتبقى أب ياض.... ربنا هيرزقك بملاك صغير واخد من طيبتك وحنيتك... يبقى شجرة عمرك اللي تكبر قدام عنيك كل يوم ولما أنت تكبر تضمك في ضلها وتحميك من الدنيا ووجعها....

لم أستطِع الرد على جمال وعذوبة كلمات أحمد بينما اجتاحت روحي طفولة عارمة، وأخبره التفاصيل قائلاً:

-تعرف يا أحمد... سماح حامل في توءم

ثم أردفتُ قائلاً:

-عشت عمري أحلم أن تكون عندي بنوتة، وأهي سماح حامل في توءم الله أعلم هيبقوا ولدين ولا بنتين، ولّا يمكن ربنا يرزقنا الاتنين بنت وولد، ثم قلت مبتسماً:

- أنا نفسي في بنت وسماح نفسها في ولد.

لم أستطِع الحفاظ على اتزاني كنت أثب وأقفز وأثرثر كثيراً، إنه قد آن لحلم عمري أن يكتمل... وتأتي سماح لتشهد مقعدنا أنا وأحمد وقد صنعت لنا الشاي وأقبلت، ويجتذبها أحمد لمشاركة حوارنا قائلاً:

_تعالي يا سماح عايز أقترح عليكم شيء، وأتمنى تفكرو فيه سوا.

_تلفظنا أنا وسماح بآنٍ واحدٍ: اتفضل قول يا أحمد.

_أحمد: أنت مستأجر شقة بقالك أربع سنوات وبعد شهور هتكون أب لطفلين يعني التزاماتك المادية هتزيد جداً وعملك في مصر مش هيساعدك تشتري بيت خاص بك أو شقة كويسة.

-سماح: فعلاً لازم يكون عندنا ولو شقة تمليك لأننا ما نعرفش بكرة مستخبي إيه.

نظرتُ إلى أحمد قائلاً:

_ بتفكر في إيه يا أحمد... اتكلم، أنا سامعك

_ أحمد: أنا بسافر الخليج من ثلاث سنوات إيه رأيك في السفر

فزعت لمجرد الاقتراح فأنا أهابُ الغربة وأخشاها، إنني حقاً أكرهها فصرخت قائلاً:

_ أنا ما بحبش الغربة يا أحمد.. الغربة قطعة من العذاب

_أحمد: بس أنت لازم تسافر عشان تقدر تشتري شقة كويسة وعشان يكون معاك المال اللي يساعدك على تربية أولادك... أنا فكرت أعرض الفكرة عليك كتير لكن لأنك لم تنجب وقتها وكنت متابع مع الأطباء.. كنت مأجل الفكرة شوية

_سماح: أحمد كلامه صح يا علي أنا عن نفسي موافقة.

أجبتهما ليس ترحيباً بالفكرة ولكن من باب التفكر والتدبر:

_حتى لو أنا اقتنعت بالفكرة مصاريف السفر وعقد العمل.. أتصرف فيهم إزاي.

_سماح: لو أنت اقتنعت بالفكرة بيع ذهب شبكتي ورتب أوراقك

_ أنا مقدرش أبيع شبكتك أو أي شيء غالي عليكي المفروض أجيب لك عليه أكتر يا سماح.

_ تغمرني سماح بنظراتها الحانية، كأمٍ تعد ابنها بالزاد وتدفعه بالأمل إلى طريق النجاح، عساها تقر عيناً وقلباً حين يحصدا سوياً ثمار كفاحهما فأسرعت بوضع يدها على فمي قائلة:

_ مفيش حاجة في الدنيا تغلا عليك يا علي، ثم أردفت قائلة

أنت هتسافر تشتغل وتكافح عشان أولادنا ومستقبلنا.. وأنا لازم أساعدك وأكافح معاك.

واستقبلنا فكرة شقيقي بالترحيب ولم نتجاوز ثلاثة أشهر حتى أتممنا كل شيء وحان وقت السفر...

رحلتُ عن بلدي وأمي وزوجتي وإخوتي وأصدقائي، وبدأت رحلتي مع غربة الروح والوطن سوياً... وللغربة أوجاع لا يعلمها إلا من عاشها... وتسلب الغربة أجمل ما وهبني الله... أعوام شبابي وراحة بالي... فما قيمة تلك الحياة بعيداً عن أحضان أمي وقبلة يديها وجبينها... أحضان زوجتي.. سرير عرسي ووسادتي... أما عن الجرح الأكبر فكيف السبيل وقد افترشت قلبي واحة خضراء بقوام جنة ومهدتها لاستقبال زائريّ القادمين... كيف ترغمني الظروف ولا أُكَبِرُ في أذنيهما الناعمات السبع تكبيرات بالأذان حين ولادتهما... سأفتقد الأصدقاء والأماكن... وحينها لن أجد سوى الذكريات ووحدتي مؤنساً وخليلاً

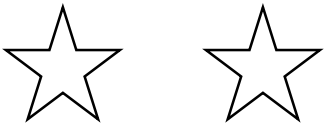

٢١ فبراير ٢٠٠٨
مساءً

صراعٌ صاخبٌ ما بين دقات قلبي ودقات عقارب الساعات... الموعد يقترب... أتواصل عبر الهاتف متابعاً أدق التفاصيل وبانتظام، تكاد دقات قلبي تؤنس الرفاق ضجيجاً، واتخذت من زاوية الغرفة مهرباً لي لعلّ لا يتابعني أحد، وعقلي مبحرٌ يمتطي جواد خياله ذاهباً إليهم ليرى ما يحدث عن كثب، وبعد منتصف الليل أعاود الاتصال مجدداً، أملاً في متابعة سماح عاشماً ومستبشراً بقدوم ملائكتي الصغار، لا أعلم لماذا أتصلُ بسماح نفسها رغم علمي أنها ربما لن تستطيع الرد ولكن ما أعلمه أن الخوف والتوتر جعلاني أفعل هكذا، اتصلت بها كثيراً دون جدوى وبنهاية الأمر تحادثني إحدى صديقاتها بصوتٍ متوجعٍ خافتٍ فترد عليّ قائلة:

_أهلاً أستاذ علي، أنا.... صديقة سماح وبعتذر لك أنّها مش هتقدر ترد عليك.

تعجبتُ من هذا الأمر، لماذا لم تستطِع سماح الرد، ماذا أصابها، أخشى سوء الظن وسوء الفهم لأنني أحتاجها، إنّها زوجتي، رفيقة دربي وأم أبنائي وقرة

عيني، رحت أتجاهل كل تلك الأفكار السلبية التي جالت بخاطري حينها واستجمعت قواي وحاولت الثبات ثم سألت صديقتها

_ مش هتقدر ترد ليه.. مالها؟

ثم أردفتُ قائلاً:

_أرجوكِ عايز أطمن عليها.. وعلى أولادي اللي في بطنها، هي دخلت غرفة الولادة ولا لسه؟

عاصفة من السكون تجتاح صديقتها كأنما تستجمع قواها لتتكلم...

ثم تواصل حوارها معي محاولة إيلاج فكرة الثبات إليّ، كيف الثبات عزيزتي وقد تربينا على أنّ فاقد الشيء لا يعطيه ثم تواصل حديثها قائلة:

_ألف مبروك يابو البنات... يتربو في عزك....

ثورة التناقض تجتاحني، شك أم يقين، حلم أم واقع، أكاد أذوب خوفاً وحيرة حين تحادثني، متخيلاً لِمَ لا يحادثني أحد أفراد الأسرة. أواصل حديثي معها.

_سماح أخبارها إيه؟ ليه أنا مش سامع صوتها ولا سامع صوت البنات، نفسي أشوفهم... أضمهم... نفسي أكون أول إنسان في الدنيا عيونه تتكحل برؤيتهم.

أيقنت بأن صوت دقات قلبي المضطربات وأنفاسي الحبيسات. أعلى ضجيجاً من حروفي المبعثرة خوفاً حين سؤالي عنهم. وتعود مضطرة لاستكمال ما قدمت من أجل إعلامي به قائلة:

_أستاذ علي.....

لحظات صمت عصيبة تتبع نداءها.

_ أنا سامعك كويس... اتفضلي

_ بناتك ما شاء الله قمرات... لكن

_ لكن، لكن إيه؟

_ البقاء لله في زوجتك... الله يرحمها ويصبرك...

_ أجبتها باكياً متجاهلاً وغير مصدق لما قالته: لا... أكيد حضرتك غلطانة... سماح عايشة أنا متأكد... يمكن تعبت بعد الولادة وبترتاح شوية لكنها أكيد عايشة... وأخذتُ أتمتمُ بكلماتٍ ربما أنا نفسي لا أفهمها، لم أستطِع رفع صوتي والتحدث معها وراحت أسناني تتخبط ببعضها خوفاً وحزناً وبدأ الكلام يخرج من فمي عبارة عن شبه صوتٍ بلا أحرف ولا كلمات ولا حتى صراخ، أنا متأكد أنّ المتصلة تشعر بي حقاً ثم قاطعتني قائلة:

_علي.. أستاذ علي

_ سماح حبيبتي هتستناني عشان نربي بناتنا سوا... أنا عارف

_ اذكر الله يا أستاذ علي... محدش يعترض على إرادة ربنا... حرام كده صرختُ بلا وعيٍ.....

_ سماح، آاااااااه، إنا لله وإنا إليه راجعون... تسيل دموعي نهراً ويجتذب صوت بكائي رفقاء غربتي الذين لم يتركونني لحظة. نعم بكم يا جند الله.. تحول حفل استقبالي لطفلتيّ البريئتين إلى مراسم عزاء، وكان قدرنا الفقد والبؤس والعناء، لم أستطِع التبسم فرحاً باستقبال ابنتيّ حيث لم يدع الحزن حينها للفرح مكاناً، ما أصعب تلك الظروف التي ألقت الحياة بيننا من رحم الموت.

ما أقسى الحياة على غريب الديار حين يفقد عزيزاً أثناء غربته.. لن تتكحل عيناه برؤيته لآخر مرة..... لن يقف أمام قبره مودعاً وملقناً، لن يسابق الحاضرين حمل نعشه فوق أكتافه، لن يطبع على جبينه الطاهر قبلته الأخيرة.

سلام على عينيكِ الراقدتين تحت التراب يا أول حظي من الدنيا ولروحك الطاهرة ألف سلام.....

كم أود التخلص من تلك الغصة في قلبي حينما أتذكر أنّ ابنتيّ ولدتا يتيمتي الأم فاقدتي رعاية وحنان الأب... ولكن الله استبدلهما بديلاً عنا حيث قام جديهما عن الأم برعايتهما واحتضانهما... وكانت والدتي التي تجاوزت الستين من عمرها تذهب إليهما قاضية معهما معظم الوقت.. وفي المساء تعود لمنزلنا الصغير مستأنسة بوحدتها محتضنة بداخلها أجمل ذكريات العمر التي عشناها فيه.

تمضي بنا الأيام سريعاً. تسلبني الغربة كل سهل وجميل وتلتهم نيرانها أجمل أيام شبابي فقد اقتربت من الثلاثين من عمري أبكي اشتياقي لحضن ابنتيّ، ولهفتي لوناسة والدتي سجينة الوحدة، حالماً بلمّ شمل أسرتي المشتتة الصغيرة، إلى أن جاء ذلك اليوم واتصلت بي شقيقتي مها تعرض عليّ أمراً ما قائلة:

_علي، إيه رأيك تشتري بيت صغير عبارة عن دور واحد تعيش فيه مع والدتك وبناتك.

أسرعت بالرد عليها قائلاً:

_ فكرة جميلة وأنا أتمنى أكيد، لكن مش معايا مبالغ تكفي لشراء بيت.

وتقنعني شقيقتي بضرورة التحايل لشراء ذلك البيت مستعيناً بما ادخرت خلال غربتي، مستنداً إلى ما كانت تحتفظ به والدتي في دفتر توفيرها من ثمن

بيتنا الذي اشتراه خالي... أخذت أحادث نفسي.... هل هذا الكلام صدقاً أم أنّه أكذوبة يجبرون بها خاطري الكسير...؟؟ أم أنّه ذلك الوعد الإلهي... إنّ بعد العسر يسراً...

هل هو موعدٌ مع السعادة يبشرني باحتضان طفلتيّ الحبيبتين في القريب العاجل؟؟ هل أراد القدر حقاً أن تكتسي الأحلام هذه المرة برداء الحقيقة.... ويتحقق الحلم الوردي ونشتري ذلك البيت الصغير ويلتئم شمل العائلة من خلاله، عدت إلى زيارة بلدي كي ألقي أوجاع الأعوام الماضية حين أحتضنُ أمي، وعدت لأجد لي نصيباً من السعادة حين أحتضنُ طفلتيّ هبة ومنة، ثم لأرى ذلك البيت الصغير الذي ستحتضن جدرانه أيامنا القادمة بضحكاتنا وأفراحنا وأتراحنا.

بعد مرور عدة سنوات...

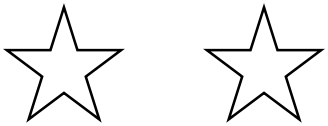

نوفمبر ٢٠١٥
السادسة صباحاً

نستقل سيارة العمل ذاهبين إليه وإذا بشاحنة كبيرة تقطع طريق سيرنا فجأة... ولا نستطيع تفاديها ونصطدم بها.... فتتحطم سيارتنا وتفتح أبوابها عنوة، لنلقى محملين بأبلغ الإصابات على الطريق... ليُتوفى على الفور زميلنا السائق وبعد إبلاغ المارة عنا تأتينا سيارات الإسعاف بمرافقة سيارات لشرطة والمرور لإثبات وقائع الحادث وبحثاً عن التفاصيل ويقومون بتحويلنا إلى المستشفى العام.

وقد أصبت بعدة كسور في اليد والساق والرأس مع نزيف خارجي.

نعم، إنها الغربة في أبشع صورها حينما تعلن خصومتها على بعض ذويها... عدت حينها لإجراء عملية جراحية واستكمال مرحلتي العلاجية بما فيها العلاج الطبيعي ستة أشهر متتاليات... كانت أمي تلك العجوز الطيبة لا تقوى على مساعدتي لقضاء حاجاتي، أما ابنتاي كانتا صغيرتين لم تبلغا عامهما الثامن

طالت بي فترة العلاج، مما جعلني أبحث عن نفسي.... تجتاحني الوحدة وافتقر إلى ذلك الحب الجميل الذي طالما عشت أحلم به... ربما أهملت قلبي كثيراً حتى أتاني ثائراً.. إلى متى؟

ربما انشغلت بأموري الحياتية كثيراً. فقد أقمت لبيتي طابقاً علوياً.. وتعاقدت على شراء شقة جديدة في إحدى الأبراج الجديدة بإحدى ضواحي القاهرة بطريقة التسديد المريح على فتراتٍ طويلة المدى لعلّها تكون حصاد غربتي، وأستعين بثمنها لاحقاً في زيجات بناتي.... يأتيني حسن صديقي الذي لم يهملني لحظة حتى العودة إلى مصر ويمازحني قائلاً:

_ إيه يا لول مش لو أنت متجوز كانت هتونسك وتاخد بالها منك في المحنة دي.

أجبته بهدوءٍ عن أمرٍ كنت أهرب من التفكير به بعد وفاة سماح، فأجبته قائلاً:

_ تونس مين يا حسن... مستحيل أجيب لبناتي زوجة أب تسيء معاملتهم.

_ فكر في نفسك وشبابك يا علي... أنت عمرك بيضيع الحق الفاضل منه ومن نفسك.

رغم ادعائي أنني لا أشغل للحب بالاً لكنني حقاً متعطشٌ إلى ذاك الحضن الذي يحتويني فحياتي أصبحت مسخاً كسماءٍ لا شمس فيها ولا قمر ولا نجوم.... إنني عاودت التفكير بتلك التي رأيتها قبل أن ترى عيناي النور... ملامحها المنحوتة في مخيلتي.. هي الحب وليس لي عنها عوضاً سواها.... فيمازحني حسن قائلاً:

_ هضيفك في مجموعة تعارف على الفيس بوك... المجموعة دي فيها بنات جميلات جداً... يمكن تخطف قلبك واحدة منهم وتخرج بيك من سجن العزوبية اللي أنت قفلته على نفسك ده.

أضافني حسن لتلك المجموعة المسماة (دقات قلب) وبدأت أتابع الجميع بلا اهتمام... إلا تلك التي استوقفت جميع حواسي جذباً...

فريدة...

لم أكن يوماً ما مِن عاشقي ذلك الاسم. إلا عندما اقترن بكلماتها المكتوبة وأسلوبها الجذاب، وحضورها الطاغي، ولاقترانه باسم معشوقتي، الرسامة المكسيكية "فريدة كاهلو" صاحبة مجموعة لوحات الفريدتين، و التي رأيت إحدى لوحاتها على غلاف إحدى المجلات قديماً، كانت أبرز وأجمل لوحة في مجموعة لوحاتها الفريدتين، كانت ترسم نفسها تجلس بجوار نفسها وقلبها

مقسوم وظاهر بالرسم على صدر الاثنتين إحداهما تحمل مقصاً وتقص الشريان الواصل بين نصفي قلبها المحمول تباعاً لدى الاثنتين وينزف دماً، وكأنها تقص الشريان الواصل بينها وبين نفسها لتعيش ازدواجية لا ترضى عنها. كانت اللوحة مليئة بالتفاصيل والتعبيرات التي لم أفهمها جميعها بالتأكيد، لكن الذي أعرفه أنّه قد وصلني إحساس فريدة لأجل أشياء كثيرة تود البوح بها، فلكم بدأت أعشق ذلك الاسم بسببها.

وبعد أن استكملت علاجي عدت مجدداً لمواصلة عملي في الخارج... وكنت أتابع الانترنت، خصيصاً من أجل تلك المجموعة التي أضافني إليها حسن، حيث اجتذبتني أسرتها برقي أسلوبهم وعلو أذواقهم... ولوجودها بينهم، اقتحمت المجموعة سابقاً بهدف التعرف والوناسة، إلى أن استأثرني طيفها. أود التقرب منها أكثر ومعرفة المزيد عنها.. إنّها فريدة

قمت بنشر مجموعة من أجمل صوري الشخصية مرفقاً معها كل ما عرفت من أبيات شعر تسبح في ثنايا الحب وتبحر في هوى المحبوب..

تُرى مالذي يحدث، ولمَ أُقبل أنا على مثل هذه الأفعال الصبيانية وأنا في ذلك العمر؟!!

هل هي مراهقة متأخرة؟ أم استسلام للقلب الباحث عن ليلاه والذي أحبّ الحبّ دون أن يتنعم به، أم أنّه سحر تلك التي استحوذت عليّ دون أن أدري، حتى حادثني أحدهم ويدعى... حمدي...

بعدما أرسل لي إضافة في لائحة أصدقائه وأخذت تأخذ صداقتنا بمرور الأيام عمقاً وبعداً أكبر، أخذ يهاتفني صوتياً من خلال برنامج الماسنجر

_ اتشرفت بصداقتك يا لول

_تسلم يا حمدي يا جميل

_ ونتحدث كثيراً فليل الغربة قاسٍ وطويل ولن يذيبه إلفة إلا التواصل مع أولئك الذين لم نرَهم بأعيننا لكنهم اتخذوا إلى قلوبنا معبراً وسبيلاً... وبعدما أعلمته بكامل تفاصيلي طلبت التعرف به أكثر فأجابني

_ حمدي الشرقاوي... أسوان.. اثنان وثلاثون عاماً.. مسؤول أمن في شركة كبرى.. أعزب...

وبعد صداقة أيام مع حمدي بدأنا نتواصل يومياً وتزداد صداقتنا ومودتنا أكثر وأخذ يسألني.

_بما أنك أكبر عازب عمراً في المجموعة يا لول، يا ترى الصنارة غمزت ولا لا؟؟

تعجبتُ من سؤاله، لم أعِ ماذا يقول وماذا يود أن يعرف فسألته

_ يعني إيه يا حمدي؟ ممكن توضح

_ أقصد مين الكراش أو مين البنت اللي أنت حاطط عينك عليها وبتتمناها؟

ثم أردف قائلاً:

_ بنات المجموعة مميزين جداً، وأنا ملاحظ إنك بتنزل بوستات جميلة مع صورك كأنك تود شد انتباه إحداهن إليك.

أجبته:

_ أبداً يا حمدي نفسي أتعرف وأكون واحد منكم وخلاص... ينطق لساني ما أود أن يعرفه الناس، وليس ما يجول بخاطري وسألت حمدي

_ تفتكر مين أفضل البنات دي يا حمدي؟؟

_ المجموعة فيها عشرات أو مئات البنات لكن أفضلهم اثنين بس

_ مين؟

_ فيري وريهام

_يستوقفني الاسم قائلاً: فيري...!!!

يجيبني:

_ اسمها فريدة.. والشهرة فيري.

يرتجف قلبي شوقاً بمجرد ذكر اسمها، تسلبني نفسي، تأخذني إلى عالمها الخاص تلك التي لم أرَها بعد. وأحاول التنصل من اهتمامي بها، أحاول إخفاء مراقبتي لها طوال وقتي مستدرجاً حمدي

_ يا ترى فيري وريهام مرتبطين ولا لا؟

_ تقريباً لا، هما أعز صديقاتي ولو فيه حاجة أنا أول حد بعرف...

ولم يستكمل حمدي كلامه متجاهلاً الحديث عنهما، أنا على ثقة أنّ هناك لغزٌ خلف تجاهله هذا... تحادثني ريهام ذات ليلة بعدما توطدت علاقتنا كأصدقاء وأصبحنا نتحاور ونتناقش أحياناً مجتذبة أطراف الحديث قائلة:

_ لول... أنت معانا في المجموعة من زمان أكيد بتكراش على بنت مننا.. ممكن أعرف هي مين؟

تعجبت من سؤالها وتهربت من الإجابة قائلاً:

_ مش بفكر في حد تحديداً يا ريهام

تابعت حديثها بدلال مراهقة وإصرار قائلة:

_ لا.. أكيد بتفكر أو معجب على الأقل... وأهم بنات هنا ممكن تعجب بحد منهم في المجموعة هم فريدة وشهد وأنا.

_ أنا معرفش شهد.

_ يبقى مفيش غيري أنا أو فريدة، وأفتكر فريدة مستحيل تخوض أي تجارب الأيام دي ومش بتفكر في الارتباط أصلاً.

_ ليه فريدة مستحيل ترتبط يا ريهام، ممكن أعرف؟

_فريدة إنسانة حساسة جداً قلبها من ذهب بجد لكنها انصدمت ولسه خارجة من تجربة قاسية

_ ازاى؟ قصة حب مع شاب غير مناسب واختلفوا مثلاً؟!

_ لا هو كان في الأربعين تقريباً. فريدة دايماً بتنجذب لكبار العمر اللي ممكن يعوضها عن حنان والدها، هي من فترة اتعلقت بالشخص ده جداً تعبت معاه واتألمت كتير، وبعدها قررت عمرها ما تستسلم للحبّ تاني، وقفلت على قلبها كل الأبواب.

تلقيت كلام ريهام كطعنات الخناجر، أبكي وجعاً عليها، لم أنتظر قصة الوجع تلك عن فريدة.

وبعد التواصل مرات متكررة مع ريهام تبادلنا طلبات الصداقة واندمجت تفاصيلنا سوياً أكثر إلى أن طلبت محادثتي اتصالاً مرئياً وقالت:

_ ممكن نتكلم فيديو يا علي؟

نفسي أشوفك.

أجبتها بالموافقة قائلاً:

_ أكيد وأكون سعيد جداً

وتتم المحادثة المرئية وإذا بريهام ذات الواحد والعشرين ربيعاً تقف أمامي بلا حواجز.. ما أجملها!! إنه ما من أحد يراها إلا ذاب فيها عشقاً فقد اتخذت من لون الشيكولاتة المذابة في الحليب لوناً لبشرتها، عيناها البنيتان تشبهان قصيدة غزل في حبّ الحياة مليئة بالأمل، وعن ذلك المسندل على كتفيها فيبدو كليل شتاءٍ عاصف تموج عشقاً ليصنع معزوفة العشق والإلهام.

أعجبت بها وأعجبت بي.

تجاذبنا كثيراً حتى صارحتني أحد الأيام قائلة:

_ أنا بحبك ياعلي، وبحلم أكمل عمري اللي جاي كله معاك.

هذا الحب الذي أراه من ريهام طالما تمنيته. ولكن اشتياقي لرؤية فريدة أقوى، إنها بداية المتاهة بالنسبة لي... فقد أصبحت أنا وفريدة صديقان تلك التي كلما اقتربت منها، كلما صنعت ألف جدار عازل بيننا... أشعر دائماً أنها خائفة من شيءٍ ما، وأتذكر دائماً ما أخبرتني به ريهام عن قصة عشقها المأساوية التي جعلتها تنأى بقلبها جانباً صانعة حول قلبها دوائر مغلقة لا سبيل لاقتحامها...

في الوقت نفسه غمرتني ريهام حبّاً ولا أنكر أنّ حياتي بها كانت أجمل. لا أنكر إعجابي بها لكن القلب ميل فؤاده قبلة أخرى، ولكن يجب عليّ احترام رغبتها والانسحاب فإن كلي ثقة أن خلف تحفظها قصة وجع تأبى تكرارها.... فلم يعد لي مهرباً إلا ريهام..

_ علي أنا حبيتك بجد، لو كان ينفع أن بنت تطلب من راجل إنه يشيلها في عنيه على سنة الله ورسوله، كنت طلبتها منك.

هكذا قالت ريهام.

ما بين حيرتي وإعجابي لم أعلم كيف المصير مع ريهام الجميلة ولا ماذا أفعل فإنّ قلبي حقاً معلقٌ بغيرها.

حاولت انتقاء كلمات رد يليق بعشمها وصراحتها؛ فريهام كانت فتاة خفيفة الظل جداً ذات أسلوب بسيط وهادئ أحياناً، مجنون وطفولي أحياناً أخرى لكنها بنهاية الأمر مزيجٌ من الجمالِ والحبِّ وخفةِ الظلِّ وكلّ شيءٍ جميل، رددت عليها قائلاً:

_ريهام، أنتي جميلة جداً وحلم كل شاب، وحياتي جميلة بيكي فعلاً، لكن.

_لكن، لكن إيه؟ حاسة إنك عايز تقول حاجة يا علي.

أشفقتُ على قلبها الهائم بي، لم أحبِبْها بدرجةِ حبّها لي فقلبي معلق بغيرها..

تعود وتسألني

_ أنت مش عايز ترتبط بيا يا علي؟!

حاولت احتواء الموقف حرصاً على إرضائها واحترام كيانها ومشاعرها قائلاً:

_احنا لازم نفهم بعض أكتر نتكلم كتير، نتحاور، نتناقش، ساعتها أكيد هنقدر ناخد القرار الصح.

_ أوك ياعلي بس ليا شرط

_ اتفضلي

_ أنا هاكتب علاقتي على فيس بوك إني مرتبطة بيك

_ بس كده غلط يا ريهام

_ متخافش محدش من أهلي هيعرف.. أنا وفريدة وبنات كتير عاملين حسابات شخصية على الفيس بوك بنتواصل بيها مع أهلنا وجيراننا. وبنعمل حسابات وهمية زي اللي بكلمك منه ده.

_ بس ده غلط يا ريهام

_ أكيد غلط لكننا بنهرب من روتين حياتنا ومشاكلها للحسابات الوهمية دي.. ننزل بوستات حب أو تسالي ودردشة بدون خوف أو تحفظ وكلنا عارفين بعضنا مش بنقبل أصدقاء أغراب..

استوقفني حديثها وبخاصة عندما ذكرت اسم فريدة فرحت أسترجع حوارها قائلاً:

_ بتقولي حساب فريدة كمان وهمي زي ده؟!

_ أيوة.. وغيرها كل بنات المجموعة بيشاركوا من خلال حسابات وهمية وأسماء مستعارة، ثم أردفت قائلة: تحب تتعرف على مين في المجموعة وأنا أعرفك عليه يا لول.

_ أحب أتعرف على كريمة مديرة المجموعة، وحمدي، وفريدة... و..و..... استغليت عرض ريهام لمحاولة الوصول إلى تفاصيل أكثر عن فريدة، ترسل إليّ ريهام صورهم وكامل تفاصيلهم ومن بينهم فريدة... يعاودني الحظ زائراً مرة أخرى بعد طول غياب ويمنحني القدر فرصة أخرى للسعادة... إنني أراها، فريدة، تاه عقلي أمام صورتها ربما تناسيت استكمال محادثتي مع ريهام... أو ربما هي ظنت أنني انشغلت بأموري الحياتية، لكنّها بالتأكيد لن تعرف أنني انشغلت عن العالم كله بمجرد نظرة إلى وجه فريدة. هل هي بشرٌ

مثلنا تعيش في عالمنا حقاً أم أنّ ريهام أخطأت وأرسلت إليّ صورة حورية البحر فاتنة الأساطير التي عشقناها منذ صغرنا... ترى هل هي حلم أم واقع؟!! من ذا الذي أتاني بملامحها تلك وأنا لا زلت جنيناً في بطن أمي وصرت أبحث عنها طوال حياتي.

كيف استطاع القمر أن يغادر سماءه ويهبط ساكناً فوق كتفيها، لا أنني أظلم حسنها حين شبهته بالقمر، إنما القمر ماهو إلا انعكاس لها، اتخذت من نور القمر الممزوج ببياض الثلج لون لبشرتها، أما عيناها السوداوان فكلاهما تشبه الزيتونة السوداء إذا ما أُسقِطَتْ في طبقٍ من الحليب، بها حَورٌ بسيط يذكرك بكلمة الشاعر "جرير"، إنّ العيون التي في طرفها حورٌ قتلننا، ثم لم يحيين قتلانا.....، أهداب عينيها ليس لها مثيلات إلا من خلال أجمل الدمى، ذات حاجبين عريضين قليلاً، رغم كثافتهما ووجود شعيرات بسيطة تصل بينهما إلا أنهما من أهم أسرار جمالها يختم وجهها من أسفله غمازة ذقن نادرة الجمال لم أرَ لها مثيلاً أما ذاك الذي يعتلي وجهها القمري فكأنما صنعت من ظلام الليل حين ذروته خيوطاً يغار منها الحرير نعومة وجمالاً تاركة إياها تغزل مع وجهها معزوفة الليل والقمر في حين ذروتهما، ها أنت يا فاتنتي تخرجين من الأحلام لتصبحين واقعاً يشهده قلبي المتيم بك قبل أن

ترى عيناك النور بأعوام عديدة، برؤية صورة فريدة فقط علمت أن الأحلام ليست مستحيلة، وأن المعجزات لا زالت تحدث وأنّ الأرض لا زالت تحمل فوق طيات ترابها ملائكة على هيئة بشر، تاه عقلي ولم أعرف ماذا أفعل!!

ذهبت لأستعين بصديقي حسن قائلاً:

_ حسن انصحني أتصرف إزاي، أنا لقيت البنت اللي ملازمة خيالي طول عمري، لقيتها واقع ملموس ورغم إني بكلمها كتابة أحياناً لكن مش عارف أوصل لها وأفوز بقلبها إزاي.

_ هي مين يا لول؟ فرحني.

_"فريدة"

_ تقصد زميلتنا في المجموعة اللي مش بتكلم شباب

_أيوة...

ضحكات قلبي تسبق حروفي ويراها من خلالي حسن لكنه يقتطع سعادتي قائلاً:

_ بس دي بنت عرفناها من خلال الانترنت يا لول.. يعني أنتَ ما تعرفهاش كويس ولا تعرف أهلها. تفتكر والدتك وأخواتك واحنا من مجتمع قروي هيشوفوا ده إزاي.

رغم صحة كلام حسن إلا أنني تجاهلته قائلاً:

_ أخلاق فريدة هتجبر الجميع على حبها واحترامها، أنا متأكد، لكن فكر معايا بس الوقتي إزاي أوصل لقلبها.

_طيب هتعمل إيه مع ريهام؟

تلقيت هذه الكلمات من حسن كالصفعة التي توقظ النائم وتقطع عليه أجمل أحلامه عائدة به إلى أرض الواقع. أفكر في ريهام وما أعلنته من خبر ارتباطنا وعن مدى تعلقها بي.

الجميع يمتدحون فريدة ويلقبونها بـ (بنت بميت راجل)، إذاً... أحادثها فقد صرنا أصدقاء منذ فترة كافية تسمح لي محادثتها والاستعانة بها قدر المستطاع حين احتياجي إليها.

أرسلتُ إليها رسالة صوتية محتواها

_ فريدة، ممكن نتكلم ماسنجر صوت؟، محتاج مساعدتك وعارف إنك هتقدري تساعديني.

أرسلت الرسالة وأنا متأكد أنّها ستسمعها، ولكنني لم أكن متأكداً على الإطلاق من فكرة قبولها وردها، إلى أن حدث ما لم أتوقعه فردت عليّ برسالة صوتية أيضاً قائلة:

_ نتكلم المغرب يا علي أكون بالبيت قريبة من ماما وأكون انتهيت من شغلي.

فرحتُ جداً حين سماع صوتها وبدون تردد رحت أتابع إرسال الرسائل قائلاً:

_ هو أنتي بتشتغلي يا فريدة.

لتبادلني هي أيضاً الرسائل الصوتية، رسالة تلو الأخرى قائلة:

_ أيوة، أنا خياطة ومديرة مصنع خياطة صغير قريب من بيتنا، وصاحبة المصنع صديقة ماما.

استجبتُ لطلبها بالصبر لبعد أذان المغرب منتظراً وعاشقاً ومتوسلاً صراع بيني وبين عقارب الساعة، تمنيت لو أعبر بوابة الزمن التي يتحدثون عنها، أو أذهب في نوم عميق لا أفيق منه إلا حين عودتها منتظراً محادثتها حتى عادت ولأول مرة نتواصل صوتياً من خلال برنامج الماسنجر وتسألني.

_ عايزني أساعدك إزاي يا علي؟

ربي... ما هذه الرجفة التي انتابتني عند سماع صوتها. أود التحدث ولكن لا أستطيع فتلاحقني قائلة:

_ اتكلم يا علي، سامعاك

_ الأول لازم تعرفي عني كل حاجة عشان أقدر أقولك مشكلتي وتقدري تساعديني...

وبدأت أحكي لها عن قصتي مع الحب وعن رفيقة أحلامي وعن قصتي مع ريهام

_ يعني أنت دخلت بيننا مجموعة (دقات قلب) عشان تدور عن الحب يا علي.

_ أيوة، أنا عمري ما حبيت حتى سماح الله يرحمها كانت بيننا عشرة جميلة لكن ما قدرتش أسعدها... طيف فتاة أحلامي كان حاجزاً بيني وبينها دايماً.

ردت فريدة قائلة بصوتٍ حنون يملؤه التمني والخوف من المجهول ونبرة لا أعلم لها سبباً.

_ الحب اللي أنت بتحلم بيه ده يا علي مش موجود، اعتبرني أختك الصغيرة، ابعد بعواطفك وإنسانيتك عن عالم الحب من خلال الانترنت ده.

_ ما قدرش يا فريدة أنا عشت طول عمري أحب الحب نفسه، بدور عليه وأتمنى أعيشه، وبعد العمر ده يا دوب لقيته.

ودون أن تعلم أنها المقصودة بكلامي حاولت مجدداً إخراج فكرة الحب الإلكتروني من رأسي قائلة:

_ أبوس إيدك يا علي...

استوقفتني كلماتها... ما كل هذا الإخلاص... ماذا أصابك يا ملاكي لتحاديثني هكذا.. وتعود لإلحاحها.

_ أبوس إيدك يا علي، عالم الحب الإليكتروني ده كله كذب وغش وخداع، وأنت إنسان طيب أوي، لآخر مرة أبوس إيدك، ابعد عن العالم ده.

حاولت الاستنجاد بها سقطت صريعها، تضاعف حبي لها مئات المرات، وأخذنا نتواصل يومياً.

وتفصح لي فريدة عن كل تفاصيل حياتها وترسل إليّ صور أخرى لها. لم أعلمها أنني حفظت ملامحها من تلك الصورة التي أهدتني إياها ريهام.

ومن خلال مجموعة صورها ازداد حبي لها أكثر.. فبجانب تلك الملامح الفريدة رأيت قوامها الشامخ ورشاقة عودها وكأنما قد اجتمعت كل أحلام الرجال وترجمت في صفاتها، فلا مثيل لها حقاً إنّها فعلاً فريدة وأخذنا نتواصل صوتياً دون أن أراها غير مجموعة الصور التي أهدتني إياها.

وذات يوم راسلتني إحدى الفتيات الصغيرات الباحثات عن الحب مثلنا، ذهبت إلى فريدة أشاركها أمري قائلاً:

_ فريدة، عايز رأيك في حاجة.

ثم أردفتُ قائلاً:

في بنت صغيرة معانا على مجموعة (دقات قلب) اسمها....عمرها16 عام. بعتت لي رسايل أنها معجبة بيا. متابعاني من فترة. تتمنى نتواصل، سألتني:

_ وأنت عملت إيه يا علي؟

أجبتها مسرعاً وبلا تردد:

_ أنتي عارفة إني بحب يا فريدة. ثانياً دي بنت صغيرة. أنا أكبر منها بأكثر من20 سنة ... عايز أبعت لها رسالة إني هعتبرها بنتي وتنسى الكلام ده.

_ أنت أرسلت لها الرسالة ولا لسه؟

_ لسه، وبما إنك بنت زيها عايزك تكتبي الصيغة المناسبة للرد عليها كأنك أنا.

_ حاضر، دقايق يا علي هكتب لك رسالة... ارسلها للبنت دي.. وهي هتبعد... وإياك تجرحها.

صرت أتواصل مع فريدة يومياً... أحادثها بأنها الصديقة ولكن في قرارة نفسي أحادث حبيبتي.

وصرنا نتحدث حتى في أدق تفاصيل حياتنا واكتشفت أن اسم والدتها يطابق اسم والدتي الست رقية مما كان يدعونا للمزح والمرح.

_ تعرفي يا فريدة أنا لما بضحك بيحصل لي إيه؟؟

_ عنيك بتدمع

_ عرفتي إزاي؟

_ أبداً، بس تخيلت لأني كمان كده لما بضحك عنيا بتدمع

_نص كلامي عن نفسي كأني بوصفك يا فريدة

_ أنا كمان كنت فاكرة أن ما ليش شبيه في الدنيا دي. بس لقيتك شبهي جداً بطريقة مبالغ فيها.

_ تعرفي أن بناتي منة شبهي جداً... نفس ملامحي نسخة بالكربون بس هي على أجمل لأنها بنت، وهبة شكل المرحومة والدتها بالظبط. هبعتلك صورة منة تحديداً ومنتظر رأيك...

أرسلت لها صورة ابنتي منة فإذا بها تردد بصوتٍ مرحٍ:

_ مش معقول، دي صورتي وأنا صغيرة... كأنّها أنا بالظبط.

_ دي منة شبيهتي...عرفتي إننا حتى في الشكل كأننا واحد بس أنتي أجمل!!

أجابت بكل سعادة واشتياق:

_ احنا متشابهين شكل وطبع كأننا توءم أو أكتر

ثم أردفتُ قائلاً:

_ حبيت أقولك عن طبع عندي كمان

_قول يا بونتي

كنت أسمع تلك الكلمة لأول مرة في حياتي، سألتها

_يعني إيه بونتي؟

_ اختصار لكلمة كربونتي. لأنك نسخة مني بالكربون. إيه الطبع اللي تقصده؟

أجبتها قائلاً:

_ أنا طول عمري بحاول أفهم الناس. في أي حوار أكون فاهم اللي بكلمه بيفكر إزاي و..

تقتطع كلامي قائلة:

_ وتتخيل رد فعله بالظبط ونفس اللي تفكر فيه غالباً يحصل

_ أنتي عرفتي الطبع ده كمان إزاي؟

_مش بقولك يا علي أنت بونتي

صمتت لثوانٍ أفكر فيها كيف استطاعت احتوائي هكذا، كيف لعبت المصادفات هذا الدور لأجدها شبيهتي وحبيبتي وملاكي، فقلت لها:

_ وأنتي كمان توءمي...

بدأ الحبّ يستوطن قلبينا دون أن نشعر...

"فريدة بين حوار العقل والقلب"

سهرانة ليه بتفكري وتعدي النجوم يا فريدة، احنا قفلنا باب الحب ورمينا المفتاح على طول إيدينا،

_ الحياة الحب والحب الحياة

_بس الحب آخره فراق ودموع، البدايات دايماً سهلة وجميلة لكن النهايات بتوجعنا طول العمر

_ بس علي حاجة تانية، علي ده كربونتي، بشوف نفسي من خلاله كل حاجة فيه تشبهني أكتر مني

_ فكرتي في ريهام صاحبتك ولا لا

_ ريهام... فعلاً لازم أقاوم حبّ علي رغم عدم حبّه لها لكن عشان مبقاش خائنة الصداقة...

تتواصل معي ريهام يومياً ويبدأ الخلاف:

_ علي، أنت هتطلب إيدي إيمتى

_لسه الظروف مش مناسبة حالياً

_ليه، أنا عايزاك زي مانت بكل ظروفك، وهنرتب كل حاجة سوا

_ لازم نفكر الأول كويس عشان بعد المسافات. أنتي من أسوان وأنا من المنصورة

_ هنتجوز في شقتك اللي في القاهرة... عمي وعماتي كلهم متجوزين وعايشين في ضواحي القاهرة. وأنا حلم حياتي أعيش فيها وأبعد عن أسوان

_ بس الشقة دي مال مدخر لتجهيز بناتي في أفراحهم يا ريري

_طيب وأنا... هتبيعني يا علي.

_ مستحيل، بس لازم نحسب كل حاجة الأول كويس يا ريهام.

لم أعلم أنّها ستغضب من موقفي لكل هذا الحد... رحت أشكو لفريدة

_ ريهام مصممة إني أخطبها ونعيش في شقتي بالقاهرة

_ وأنت هتتصرف إزاي يا علي؟

_ أنا مش هقدر أظلم ريهام زي ظلمي لسماح إني أتجوزها وبيني وبينها حاجز صورة إنسانة محتاجة كياني.

_ مكنش لازم تعلقها بيك من الأول يا علي... أنت غلطان

_ عارف، لكن صدقيني كنت بدور عن حب قبل الارتباط وما قصدتش أجرح ولا أظلم.

_هتتصرف إزاي؟

_ هنزل مصر زيارة... محتاج أرتب حاجات كتير

_ بس أنت بتنزل مصر في الصيف عشان تقضي رمضان مع أسرتك وحالياً احنا لسه في الشتاء.

ليتكِ تعلمين يا فريدة أني أصطنع الفرص وأحطم الحواجز والسدود فقط من أجل رؤية عينيكِ...

_ تعرفي يا فريدة إن ريهام إصرارها كل يوم بيزيد إننا نتجوز نعيش في شقة القاهرة بعيد عن أمي وبناتي

غضبت فريدة من موقف ريهام وقالت بحدة:

_ لا يا علي... ما تعملش كده.

سعدت بكلامها... فهي الرزينة ذات الرأي السديد وسألتها عن وجهة نظرها

_ هتعيش في القاهرة إزاي وبناتك ووالدتك في المنصورة.. وكمان الشقة عشان جهاز بناتك... لو ريهام بتحبك تعيش معاك في بيتك أنت مع أسرتك..

_ بس أنتي عارفة إني مش بحب ريهام أنا بحبك أنتي يا فريدة...

وكانت أول مرة أصارحها بشعوري ناحيتها، أعلم أنها متأكدة أني أحبها، لكنها مصممة على الاستمرار في تنفيذ قرارها...عدم الاستسلام للحب... يرتجف صوتي خوفاً وأنا أحادثها... ويحي.. ماذا فعلت.. لِمَ لمْ أصنع المقدمات المناسبة لمثل هذا الاعتراف وتحت ظل هذه الظروف.

فتجيبني فريدة بحزمٍ وثباتٍ:

_ أنت اتجننت يا علي... أنا غلطانة إني بكلمك أصلاً. إنسى الكلام ده نهائياً واحذر تكلمني فيه لو عايز تحافظ على صداقتنا، مع السلامة.

جلست متحسراً لا أعلم ماذا أفعل، كيف أواري تلك الدمعات الحبيسات كيف أخفي الوجع عن ملامحي وأطبع عليها بسمة كاذبة أتهرب بها من مواجهة صديقي حسن ورفاقي بالغربة، ثم ذهبت إلى سريري... وحاولت ادعاء النوم منفرداً بأوجاعي... أغلقت برامج الانترنت كاملة.

"فريدة"

أنا إزاي قدرت أزعل علي وأنا أكثر إنسانة في الدنيا متأكده من صدق إحساسه وحسن نيته، عدم ارتباطه بريهام أفضل للاثنين لأنه مش بيحبها، حتى لما اتجوز كان جواز تقليدي، مش عن حب، لكنه حافظ عليها وصانها، أنا متأكدة أن الغربة سرقت أجمل أيام عمره بقت كلها كبت وحرمان، وده

هيخليه سريع التعلق، بيجري ورا السراب اللي بجري وراه، ويحلم نفس الحلم، الحب، أكيد هيخطي كتير، بس لازم أكون معاه أساند قلبه الخام بحق ثقته فيا واحتياجه ليا، لازم أكمله وأكلمه، كل حاجة في الدنيا تهون، إلا زعل قلبك الطيب يا علي.

وإذا بصوت رنات هاتفي تستبدل سكون الليل ضجيجاً، مرات عديدة متتاليات. إنني متأكد إنها هي لكن خجلي منها وعزة نفسي يمنعاني عن الرد. يقيم معي بغرفتي صديقي حسن الذي اقتطعت رنات هاتفي نومه العميق. ليصحو قائلاً:

_لول، رد عالفون، ادعيت النوم ولم أرد. ويعاود مناداتي ظناً منه أنني نائم. لكنه أحس بكائي الخافت، فأتاني ناهضاً بعدما أوقد المصباح.

_ مالك يا علي... بتبكي ليه؟

_ ولا حاجة يا حسن، بتهيألك

_ لا يا لول، أنت بتبكي وأكيد الرنات دي من نفس المتسبب في نزول دموعك، وغالباً دي فريدة اللي استحوذت على تفكيرك وكلامك...

أنصت إلى حسن وعيناي لا تبرحان الأرض ودموعي تنهال شلالاً... ترى هل كل ذلك بسبب رد فعلها، لا، إنّه بسبب خوفي فقدانها لأي مشكلة أو سببٍ ما..

_ كلمها يا علي، أنت بتبدأ معاها طريق طويل أخضر وأنتو لسه في أوله ازرع التسامح والأمل تحصد الرضا والسعادة.

دفعني كلام حسن للاستسلام لمشاعري وأسرعت بالتواصل مجدداً ببرامج الانترنت.

فأجد عشرات الرسائل من فريدة

_ سامحنى يا علي، أنا غلطانة، .....و.....و.....

ابتسمَ قلبي وضحكت عيناي واتصلت بها فوراً، ليسبق صوتها بدء المكالمة

_ سامحني يا علي، أنا آسفة.

ألاحقها سرعتها بالرد قبل أن أدرك ما تقول، فأنا حتماً أعرفه.

_ محدش يقدر يزعل من روحه يا فريدة، وأنتي روحي.

كم كنت أخشى غيابك عن دنياي يا حبيبتي... كيف استطاع ذلك العالم الالكتروني العبث بكل تلك المشاعر وحملها من بلد إلى بلد، ومن حبيب إلى حبيب. كيف استطاع طوي المسافات ولملمة المشاعر المبعثرة وإيصالها

إلى أولئك الذين كانوا قبله مجرد غرباء، كيف استطاع أن يكون سبيلاً للاحتواء. ينتظر كلانا سماع صوت الآخر عشقاً وشغفاً..

قررت العودة إلى مصر من أجل لقائها وأخبرتها.

_ أنا راجع مصر بكرة يا فريدة.

لحظات من السكون والحيرة بين قلبينا اللذين حلما ملياً بيوم التلاقي وها هما يشعران بأن ذاك الحلم أوشك أن يتحقق، أن السعادة هي التي تتكلم لسنا نحن.

_أخيراً يا علي... أخيراً يا أجمل حلم حلمته هقدر أشوفك.

_ مقدرش أتأخر يا فريدة... روحي كانت غايبة عني ورجعت لي بوجودك.

تعاود فريدة سكونها وتلتزم الصمت وكأنما اختطفتها الحقائق العارية من حلمها الوردي تحملها دوري البريء والجلاد معاً لكنها بذكائها المعهود تسألني:

_ هتعمل إيه مع ريهام يا علي؟

أنت عارف أنها بتحبك و...

أقتطعُ كلام فريدة قائلاً:

_ أرجوكِ يا فريدة، ما تسيبنيش، أنا محتاج لك بجد، أنا لو كنت حبيت ريهام كنت كملت معاها، لكنه كان مجرد إعجاب، وأنا ما وعدتهاش بأي حاجة.

أجابت بحسرة وحزن:

_ أنا مقدرش أكون الخاينة اللي خطفت حبيب صديقتها ياعلي.

_ ده لو أنا كنت بحبها، لكننا ماعملناش حاجة، الحب حكم على قلوبنا غصب عننا

_ أنا تايهة يا علي خايفة على صداقتي مع ريهام، هي عمرها ما جرحتني، ربنا عالم إني كنت بحاول أبعد عنك عشان خاطرها ولولا إني متأكدة أن عمرك ما حبيتها أنا كنت هبعد، صمتت ثوانٍ ثم أردفت قائلة: _خايفة أكون بجرح أو أظلم بدون قصد.

_ما تلوميش نفسك على أمور قدرية يا فريدة النصيب غلاب.

_ حاضر بس هتحل المشكلة دي إزاي؟

_ هروح أقضي يومين في أسوان مع حمدي زميلنا في المجموعة وأقابل ريهام وجهاً لوجه.

_ هتقدر تصارحها بحقيقة مشاعرك؟

_ لازم أحاول. أنا حبيت، قلبي مبقاش ملكي خلاص، عشان كده لازم أتصرف صح مهما كانت العقبات، أني أحب وأرتبط ده مش ذنب، لكن الذنب إني أسيب ريهام تتعلق بيا أكتر وأنا بحب غيرها، ده غش وخيانة.

_ هستناك يا علي.. لازم أشوفك

_ أنا راجع مصر عشان خاطر عيونك أصلاً يا فريدة

ضحكات قلبينا وأعيننا تفصح عمّا لم تفصح به ألسنتنا.

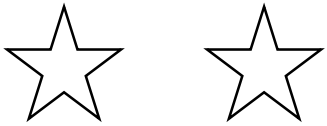

أواخر ديسمبر ٢٠١٥
رحلة العودة إلى مصر الحبيبة

وتواصل يومياً بيني وبين ريهام وفريدة. أفكر كيف تكون المواجهة مع ريهام وإذا بها تتصل بي.

_ حمد الله على السلامة يا علي، نورت مصر، أنا فرحانة إنك جيت وهقدر أشوفك.

_ الله يسلمك يا ريري. هتشوفيني أقرب وقت طبعاً.

_ هنتقابل إزاي. تحب أروح زيارة عند أقاربي بالقاهرة ونتقابل هناك.

_ لا يا ريري، أنا بعشق أسوان، طول عمري نفسي أزورها حافظ كل معالمها الجميلة، السد العالي، مسجد الطابية، رمز الصداقة، المتاحف، معابد أبو سمبل وكوم امبو و..

تقتطع ريهام كلامي سعادة وانبهاراً:

_ إيه ده يا علي أنت حافظ أسوان أكتر مني أنا نفسي، ثم سألت:

هنتفسح سوا ونروح كل الأماكن دي؟

_أكيد يا ريهام

لم تعلم تلك المسكينة العاشقة أنني رفضت قدومها إلى القاهرة خشية انتزاعها من بين أحضان أسرتها وأمها الحنون حين اعترافي لها بعشقي غيرها، وما أملي بتلك المرة تحديداً في زيارة أسوان الجميلة حاملاً ذلك العسل الذي أذبت فيه مرارة فراقنا

عادت لتسألني:

_ هتقضي كم يوم في أسوان وهتنزل في فندق ولا هتقيم فين؟

حمدي لما عرف أني هزور أسوان صمم يستضيفني عنده ويلازمني كمرشد وصديق في رحلتي.

وقبل ذهابي بأيام إلى أسوان يتصل بي صديقي حمدي

_ أنا منتظرك يا لول، وكنت عايز رأيك في موضوع

_ اتفضل يا حمدي

_ في الشركة اللي أنا بشتغل فيها أعلنوا احتياجهم لمحاسب وأنت عارف أن ريري دارسة تجارة، وأتمنى أنّها تفوز بالفرصة دي

_ أنا معنديش مانع يا حمدي، العمل عبادة بس يا ريت هي توافق

_ أنا حبيت أعرف رأيك لأنك أقرب إنسان منها، وأكيد هترجعلك قبل ما تاخد أي قرار.

وفور انتهائي من محادثة حمدي اتصلت بريهام وأخبرتها عن تلك الوظيفة وكامل مزاياها وسألتها:

_ ريري إيه رأيك، موافقة ولا لا؟؟

_ أنا فعلاً أتمنى أشتغل وأحقق ذاتي وأحلامي الكثيرة، لكن حالياً أنا تايهة، غير مؤهلة لأخذ أي قرار، مش عايزة أرتبط بشغل أو أي حاجة في أسوان.

_ محدش يعرف بكرة هيحصل إيه، الوظيفة فرصة جميلة اتمسكي بيها حالياً، ولما تتغير الظروف قدمي استقالتك.

_ حاضر يا علي ما دمت أنت موافق هقدم أوراقي من بكرة.

واقتنعت ريهام بفكرة العمل من أجل عبور تلك الفترة الزمنية حتى ترضى عنها الأقدار وتساعدها الظروف

لاستقبال فترة أجمل بأحلام أكبر

وذهبت أخبر فريدة عن سعادتي لإقناع ريهام بالعمل لتُفاجأ فريدة قائلة:

_ بجد يا علي، حمدي رتب شغل لريهام معاه في نفس الشركة

_ أيوة، إيه الغريب في كده؟

_ هقولك، بس يا ريت تقدر الموقف كويس، وتتعايش معاه.

_ اتكلمي يا فريدة، يا ريت أعرف تقصدي إيه.

_ هقولك

ثم بدأت تتلو عليّ ما تعرفه عن قصة الحب الجامح ذات الطرف الواحد قائلة:

_ حمدي بيعشق ريهام من كم سنة، لكنها مش بتفكر فيه، ولا قدرت تبادله نفس المشاعر، حمدي مش قادر يرتبط بغيرها، شايفها حلم كبير اتمنى يحققه لكن للأسف، يظهر ما فيش نصيب.

بين حيرتي وانبهاري أخذت أحادث نفسي بصوتٍ عالٍ فتسمعني فريدة

_ إزاي هو عارف إنّها بتحبني وفكر إنّها تكون معاه في مكان واحد، دي خيانة صداقة.

تعترض فريدة على ما سمعت من تمتماتي قائلة:

_ لا، حمدي محترم جداً وأوفى إنسان في الدنيا، لما عرف إنها بتحبك بدأ يتعامل معاها كأخت، وألغى فكرة ارتباطه بيها وهي بتعامله كأخ كبير وصارحته إنّها بتحبك، ورغم كل آلامه إلا أنّه امتدحك لما سألته عن رأيه فيك، قال لها علي إنسان عظيم يستاهل إنك تتمسكي بيه وأنا هساعدك.

_ إنتي إزاي بتعرفي كل التفاصيل دي؟

_ ريهام صديقتي لما بتزور أهلها بتيجي عندي، وحمدي أخويا، أعز عندي من شقيقي عبد الحليم اللي مش بكلمه، وكلنا أعضاء مجموعة (دقات قلب) بنتقابل أحياناً عند مدام كريمة مديرة المجموعة. هي أختنا الكبيرة كلنا.

_ فريدة، ممكن أطلب منك حاجة ويا ريت ما ترفضيش

_ أكيد يا علي

يأخذني الصمت والحيرة لحظات، هل ستنم نواياي عما بداخلي، أم أقع مجدداً ضحية لسوء الظن، فريدة التي لا زالت تحتفظ بعصبيتها فرغم حياتها الحضرية في ضواحي القاهرة لم تنسَ أنها صعيدية الجذور لأبٍ من أبناء محافظة سوهاج.

_ علي، كل ده وقت بتفكر، كنت عايز تقول إيه؟

_ أنا لما بكلمك فيديو مش بشوف ملامحك يا فريدة، أنا عشقت عيونك رغم إني مش بعرف أشوفهم، عايز أشوف عيونك بدون خوف ولا حواجز، أتوه وأسرح فيهم، وعيوني تتكحل بدلال رؤية عيونك يا فريدة.

تنطلق كلماتها عبثاً ساخطة عليّ، شديدة اللوم والعتاب عما استبحت من حلائل قربها بلا ميثاق شرعيّ:

_ أنت اتجننت يا علي، أنت فاكرني إيه، عشان وثقت فيك وبكلمك تتجرأ عليا كده، تطلب مني طلب زي ده، ثم أردفت قائلة: أنا ظلمت نفسي أصلاً لما وافقت أتكلم مع حد غريب. لو سمحت افصل المكالمة يا علي، أنا أعصابي تعبانة دلوقتي.

أغلقت الهاتف دون أن أبدي لها مبرراً لطلبي الغريب من وجهة نظرها. ولكن، أليس من حق الحبيب اتخاذ ملامح حبيبه بيتاً يزرع فيه السكينة ويحصد منه الأمان.

ماذا دهاك يابنة القلب وساكنة الفؤاد، لمَ تعامليني دائماً هكذا، ليتك تعلمين كم أحبك، بلى... إنني واثق أنك تعلمين لكنها فطرتك الطاهرة التي تداعب أفكارك وتقودها للأصعب دائماً.

وعدنا إلى ذاك الجرح القديم ولكن هذه المرة بعد إغلاق هواتفنا لم تلبث دقائق معدودة حتى انهالت عليّ

شلالات من رسائل أسفها واعتذارها، لم أتعجب من ردة فعلها هذه المرة فقد بدأت أحفظ طباعها، وبعد تلك المحاولات منها لمعاودة الاتصال عبر كل الوسائل بدأت أستجيب لمحادثتها على برنامج الماسنجر حيث تجري

اتصالاً مرئياً صوتاً وصورة، قمت بإلغاء استقبال الفيديو عبر المكالمة واستقبلت المحادثة صوتاً فقط.

_ علي، افتح فيديو عايزة أشوفك

_ خلينا صوت أحسن يا فريدة

_ كلمني فيديو يا مجنون بدال ما أموت نفسي

تأخذني نوبة كبيرة من ضحكات القلب والخاطر معاً محادثاً إياها

_ لا، يحنن عليكي ربنا، أنا مؤدب مش بحب أشوف بنات

_ أنت حر، بس ما تلومش غير نفسك بعد كده

وإذا بفريدة أيقونة العشق تظهر وجهها الحنون مداعبة إياي كطفلها المدلل، وأستجب لمحادثتها المرئية ولأول مرة تقع عيناي عمداً على عينيها، وقد أفصحت أيضاً عن وجهها وشعرها وأزالت غطاء رأسها المعتاد لأجد القمر ينظر إليّ، لم تقوَ عيناي على التوغل داخل عينيها فعند أول نظرة إليها وجدتُ عينيّ كسيرتيّ البصر في ظل توهج إشعاعات جمالها نظرت أرضاً، فقالت:

_ علي، أنت مكسوف وبتبص في الأرض ليه؟

_مش قادر يا فريدة، مش قادر

_عيوني وقلبي ملكك يا علي، بس اوعدني ترحم ضعفي، ما تخذلنيش.

_ أوعدك إني أعيش الباقي من عمري أسعدك وأشكر ربنا على نعمة وجودك في حياتي.

ثم فجاة قالت الكلمة التي انتظرتها سنوات عمري كاملة:

_ بحبك يا علي

أجبتها بعشق مراهق ولهفة محب:

_ وأنا كمان بعشق التراب اللي بيحضن خطواتك يا فريدة

"أسوان"

_الحمد لله على السلامة

_ الله يسلمك يا حمدي

_حظك جميل جداً يا لول

_إزاي؟

_ ريهام استلمت شغلها امبارح معانا، وهتشوفها بكرة لما تيجي معايا آخد إجازة كم يوم أقضيهم معاك. ده أولاً

ثانياً: الموظفين في الشركة كلهم قرروا يحتفلوا بليلة رأس السنة في سانت كاترين هنصعد 600سلمة ونشوف شروق الشمس في أجمل رحلة وريهام هتكون مع الفوج النسائي وأنت هتكون معانا.

يعني هتستمتع بجمال أسوان وبرحلتك معانا سانت كاترين، بيقولوا عنها جميلة جداً.

تعجبت من كلام حمدي ومن ذلك الصخب الجميل الذي ربما يحدث فقلت له:

_ غريبة، بس أنا مش مرتب أموري لأكثر من يومين أو ثلاثة معاك في أسوان

يعود ليفاجئني قائلاً:

_ ريهام عملتها لك مفاجأة ودفعت لك رسوم الرحلة كمان.

_معقولة ريهام عملت كده؟

_أيوة يا سيدي الحب بيصنع المعجزات.

قالها حمدي وهو لا يعلم نواياي، ولا يعلم عن معرفتي بعشقه لها، لكن موقفه منها شجعني للاستعانة به ورحت أصارحه:

_ممكن أتكلم معاك بصراحة أكثر وتساعدني يا حمدي

_ أكيد يا لول، اتفضل

_ أنت لسه بتحب ريهام ولا لا؟

وإذا بحمدي يرتجف حيرة ودهشة مما أقول، لم يتوقع مواجهتي، أشفق على خجله مني وألاحقه. محدش يستاهل قلب ريهام وحبها غيرك أنت يا حمدي.

ليستنكر كلامي محاولة منه للحفاظ على صداقتنا قائلاً:

_ أنت أكيد غلطان، مفيش بيني وبين ريهام أي حاجة

لم أدع الوقت يمر طويلاً ورحت أخبره بلا تردد:

_ حمدي، أنا بحب فريدة.

تعجب حمدي قائلاً:

_ أنت بتقول إيه يا علي؟

_ اللي سمعته يا صديقي، أنا جاي أنهي علاقتي بريهام مش أطلب إيدها زي مانت متوقع.

تتوه الفرحة التي اكتست بها ملامح حمدي مجدداً وتتبدل حزناً وإشفاقاً ثم أردف قائلاً:

_ بس كده ريهام هتنصدم، ريهام ما تقدرش تستحمل خبر زي ده.

_ عشان كده بستنجد بيك يا حمدي، لازم تساعدني.

يقتطع حمدي كلامي فلم يعد لديه القدرة لاستيعاب شيء آخر ولا أجمل من تأكده من عدم حبي لريهام وإشفاقه عليها حين صدمتها. ويعود ليخبرني:

_ أنتَ لسه واصل حالاً في الليل لازم تتعشى، ترتاح من تعب السفر وتنام كويس عشان من بكرة هنعمل حاجات كتير.

وفي الصباح اصطحبني حمدي معه إلى عمله جلست برفقته في مكتبه الخارجي المسؤول عن خدمات الحراسة وتدوين الصادر والوارد من السيارات التي تحمل وتنقل بضائع وغيرها

_ كلها نص ساعة والمدير يوصل يا لول أقدم طلب الإجازة، كنت ممكن أعمل كده امبارح لكن حبيت إنك تيجي معايا عشان تشوف ريهام.

_ إزاي هقدر أشوفها؟

وإذا بصوتها المرح يأتيني فجأة من الخلف

_أنا جيت بدري عن ميعاد شغلي عشان أقدر أشوفك يا لول.

فرحت جداً بلقائها واندفعت نحوها مرحباً بها

_ ريهام، إزيك

وقبل بدء سلامنا أخذ حمدي أحد دفاتر عمله وفتح أحد أدراج مكتبه ليحمل دفتره الأحمر الخاص به والذي يلازمه في بيته وعمله ويدون فيه يومياته ومذكراته ثم قال:

_أنا هسيبكم تسلمو على بعض وهخرج أسجل بعض الحاجات وهبعتلكم مشروباتكم المفضلة هنا

توسلت إليه بخجل قائلة:

_ حمدي، خليك معانا،

ليجيبها:

_ ما ينفعش يا ريهام، أكيد عايزين تتكلمو مع بعض في حاجات كتير، باب المكتب مفتوح ومحدش هيزعجكم غير الساعي هيقدم المشروبات.

جلسنا أنا وريهام سوياً وغاب عنا حمدي الذي اصطحب دفتر خواطره ليبوح له عمّا يجول بخاطره تجاه ما يحدث، لا أعلم كيف أخبرها بما قدمت أنا إليه ولا هي ترى السعادة التي طالما حلمت بها حين لقائي، أخذت أخبرها عن آمالي وطموحاتي وأنني لا أنوي العيش بالقاهرة. وما شقتي الجديدة إلا مالاً مدخراً لتجهيز ابنتيّ حين زواجهما، وهي تخبرني عن أحلامها الطاغية، واحتياجها لوجود حبيبها بالقرب منها دائماً وتخبرني بعض التفاصيل قائلة:

_ أنا بغير يا علي لما بشوف أي بنت ماشية مع خطيبها، بتمنى أتمشى مع خطيبي زيهم. صديقتي..... خطيبها قال لها مش تلبسي ملابس ضيقة ومرة كانت ماشية معايا ولابسة بنطلون ضيق جداً، لقيناه ماشي في الشارع مع صديقه. خافت يشوفها شدتني ودخلنا سوبر ماركت مع إنها مش عايزة تشتري حاجة. لكن أنا شوفت غيرته عليها وإحساسها بيه.

أدركت تماماً أننا نسير في طريقين معاكسين لبعضهما، لن أستطيع التخلي عن فرصة عملي بالخارج، خصوصاً في ظل موجة الغلاء المتصاعدة دائماً بلا توقف. لن أكون ذلك الشاب الذي يصطحبها يومياً إلى الأماكن العامة حيث التنزه والزيارات، فلدي ابنتان صغيرتان وأم عجوز وسفري الذي يقتطعني عن كل هذا دائماً. لكنها مازالت متمسكة بي ظناً منها أننا سوياً سنواجه متاعب الحياة.

وبعد وقت طويل يأتينا حمدي ومعه دفتر المدونات ودفتره الأحمر الخاص الذي يقوم بإعادته إلى درجه المخصص له. تلاحظ ريهام أن دفتره الأحمر لا يشبه دفاتر العمل، بالتأكيد إنه دفترٌ خاصٌ لتسجيل الخواطر، هي تعرف أنه لا زال يحبها، يثار فضولها رغبة في معرفة ماذا كتب حمدي، حين وجد حبيبة قلبه تجلس بسماعدته منفردة مع من أحبت، ولم يقم حمدي بتأكيد إغلاقه درج مكتبه بالمفتاح. ويسمع صوت إحدى شاحنات نقل البضائع فيتجه نحوها مسرعاً لمعرفة وتدوين ما تحمل. لتأخذ ريهام مقعده ساعية وراء فضولها في معرفة ماذا كتب، لتفاجأ وتصطدم بالحقيقة المكتوبة بخط حمدي وساعده.

كنت أستمد سعادتي من تلك التي تملأ عينيها حين حديثها عنه. وأصبحت أخشى انطفاء لمعة عينيها حزناً على مصيرها المحتوم مع حبها لعلي وفاجعة فراقهما، ليته لم يقدُم إلى هنا ليعلمها بعشقه لسواها، أي مصير مجهول ينتظرها، هل هي النهاية أم البداية لأملٍ جديدٍ.

لم تستطع ريهام السيطرة على مشاعرها وإخفاء دموعها وصوت بكائها العالي. لم أعِ ماذا أصابها لكن إحساساً داخلياً يحدثني أنني سبب ما آلت إليه حالتها. أريد التحدث إليها ولكن تخونني الكلمات وتهرب جميعها. لأقف بين يديها حائراً ماذا أفعل وماذا أقول. فيأتينا حمدي مهرولاً حين سماع بكائها قائلاً:

_ ريهام، مالك، حصل إيه. أرجوكي أنا ممكن أتحمل أي حاجة في الدنيا إلا دموعك، اتكلمي أرجوكي.

فتضع دفتر حمدي أمامنا مفتوحاً على تلك الكلمات التي كتبها ولم يعلم أنها ستكون سلاحاً يفتك بقلب محبوته ومشاعرها الجميلة.

لن أنسى بكائك ودموعك يا ريهام ما دمت حياً. وعدتُ إلى قريتي تاركاً خلفي أوجاعاً لا يعلمها غير خالقي. أعلم أن حمدي لن يتركها وحيدة فهو

يحبها. لكن تُرى هل ستغفر له أنه شارك في وجعها وإسقاط دموعها أم أنها لن تغفر له؟!!

أظلمت الدنيا في عينيّ. لا ملجأ لي سوى فريدة التي حادثتها فور عودتي للمنزل.

_ فريدة، كل حاجة مع ريهام انتهت خلاص.

_ أنت رجعت بدري ليه يا علي؟ أنت تقريباً ممكن تكون قضيت هناك ليلة واحدة.

_ فعلاً... أنا حتى ما خرجتش غير مع حمدي للشركة، وحصلت مشكلة ورجعت على طول. ليه رفضتي إني أتواصل معاكي وأنا هناك؟

فتجيبني بكل مرارة وأسى قائلة:

_أنت عشمت ريهام بدون قصد منك وأكيد بفراقك عنها هتتوجع، أنا بنت وحاسة بيها ومقدرة حالتها كويس

ألقيت بحزني تحت قدميها قائلاً:

_ بس كنت عايز أحس بوجودك معايا، كنت محتاج لك أوي

ليعلو صوتها مرارة وحزناً وهي تقول:

_ بص ف وشي يا علي، شوف أنا اتغيرت إزاي. أنا ببكي على حالنا كلنا من أول مانت مشيت. صدقني قلبي كان معاك ثانية بثانية لكن مكنتش أقدر أكلمك.

تفاجأت من هول ما ظهر على وجهها من تغير وشحوب قائلاً:

_إيه ده، الحزن طبع معالمه إزاي على ملامحك في الوقت القصير ده يا فريدة.

فتحاول إخفاء حزنها واصطناع بسمة كاذبة لاحتواء الموقف قائلة:

_ أنا كده، ماما بتسميني عُقَد.

سألتها متعجباً:

_ عقد، يعني إيه عقد؟

بدأت دمعات الحزن تتلاشى وتطرق البسمة أبواب قلبينا من خفة ظل فريدة حيث كلامها ووصفها قائلة:

_ عقد دي جمع عقدة وده اتهام ليا إني إنسانة معقدة، بتقوللي أنتي لما بتزعلي عقد الدنيا بتبان على ملامحك. ولما تزعل مني وهي عارفة إني بعقد الأمور مش بستجيب بسهولة تقول لي يا عُقد.

بدأت أمازجها قائلاً:

_ تصدقي ماما عندها حق، أنا خلاص من هنا ورايح هسميكي عُقد

_ ما تنساش إنك زيي في كل حاجة كأننا فولة واتقسمت نصين

_ عندك حق، حتى الملامح أنتي شبهي أكتر من بناتي نفسهم كأنك أختهم التوءم بس على كبير وواخدة ملامحي أكتر منهم.

_ عشان كده أنا كتبت اسمك على الفون وكل البرامج "بونتي" اختصار كربونتي.

_وأنا كمان كتبت اسمك توءمتي.

لا أعلم كيف استطعت التغلب على تلك الأزمة وعبورها ولكنني أعلم أن كلمة السر"فريدة".

أعاود الاتصال بصديقي حمدي لأطمئن على ريهام.

_طمني عليها يا حمدي

ليخبرني قائلاً:

_ ريهام هتكون بخير بإذن الله، ثم أردفت قائلاً بعد صمت لحظات:

هي بكت كتير وقالت إنها عارفة سبب فراقك عنها.

تعجبتُ وسألته:

_ سبب إيه

_رفضك لحبها

_ إزاي

_قالت إنها لما كانت بتكلم فريدة عنك كانت بتلاحظ شغف فريدة واهتمامها الزايد بيك. أنت مرة شاركت صورتك عالفيس بوك وأنت راسم بإيديك شكل قلب، ريهام لسه بتكلم فريدة، قالت لها صورة علي تسحر القلب وتأسر الوجدان، وقالت كلام كتير بدون أن تشعر. وقالت إن فريدة محتاجة لك فعلاً لأنك ممكن تكون عوض لها عن حنان والدها الغائب وإن فريدة بتعشق العمر الكبير.. قالت كلام كتير يا علي

سألته خوفاً عليها:

_وأنت عملت إيه يا حمدي، ساعدتها إزاي.

_أقنعتها أن حبك أنت وفريدة مجرد شكوك وأنك بتفكر في بناتك بس

وبختُ حمدي وسألته:

_ ليه قولت كده

_ خوفت تاخد موقف عدواني منك ومن فريدة وأردف قائلاً:

هي عندها شكوك فعلاً لكن مش متأكدة

وقولت لها إنك رافض تظلمها بسبب فرق العمر بينكم وفريدة بنفس عمرها وهي أكيد غلطانة.

حاول تكلمها يا علي وتقنعها إنك مش رافض حبها لكن الظروف أقوى منكم

_ حاضر، مع إن ده صعب جداً لكن هحاول

_ تمام يا لول وأنا هاقنعها تخرج معانا بكرة لرحلة ليلة راس السنة وزميلاتنا بالشركة أكيد هيحتووها ويحاولوا يخرجوها من الحالة دي.

أذهبُ بالمساء لأجد ريهام أعلنت عصيانها وعدائها للجميع. وشاركت منشوراً للسب والقذف من خلال مجموعتنا (دقات قلب) حيث قالت:

ما أشبه تلك المجموعة ببيوت الدعارة، فما أتاها رجلاً إلا منقاداً خلف دناءة غرائزه الرجولية العفنة، وما من أنثى فوضت أمرها رجلاً إلا سُلبت عذرية فكرها قبل جسدها.

وكتبت قائمة بأسماء كل من اجتمعوا باسم الحب من خلال المجموعة معلنة فشلهم كنماذج سابقة ومحذرة للآخرين من السقوط بمثل تلك المشكلة.

شعرت بالمسؤولية لأول مرة تجاه ريهام، يجب عليّ إيقاظ ريهام من تلك الغفلة الظالمة، فإنّه لو لم يجمعنا الحب حقاً، فلا شك أننا قد اجتمعنا على المودة والأخوة والعشرة اتصلت بها ورحت اسألها:

_ ريهام، أنتي ليه عملتي كده؟

أجابتني بصوتٍ مبحوحٍ وقلبٍ مكسورٍعلى عكس عادتها فقد كانت صاحبة صوتٍ جميل مزيج ما بين طفولة عذبة وبساطة أبناء النوبة ذوي الصوت الرخيم متكسر الحروف رنان النغمات قائلة:

_ لأن دي المجموعة اللي اتعرفت بيك من خلالها، والآخر بعتني.

_ أنتي غلطانة، أنتي أختي الصغيرة وبنتي، وأنا لسه بحبك وبخاف عليكي، صدقيني يا ريهام، نفسي أفرح بيكي بجد واطمن عليكي

سألتني بلهجة يعتليها اللوم:

_ بعتني ليه لما أنت بتحبني؟

سألتها بدهاءٍ لعلّها تجد في إجابتها رداً على سؤالها

_ أنتي بتكرهي حمدي؟

تاهت كلماتها حيرة وضياعاً خلف أسفها وخجلها الشديدين قائلة:

_ لا، حمدي أخويا ويعز عليا جداً.

تابعت نفس الأسلوب مستكملاً حواري معها

_ يا ترى بتحبيه وتفكري فيه كزوج وحبيب؟

_لا طبعاً، حمدي مش فارس أحلامي، لكنه إنسان شهم ونبيل.

_ عرفتي دلوقتي إجابة سؤالي؟

ممكن يكون حد بيعشقنا وقريب مننا جداً، ووارد جداً يكون الإنسان ده أكثر من ممتاز، لكن ما فيش نصيب، القلب له أحكام يا ريري، مش معنى كده أنه مش كويس أو نكرهه، لا بالعكس، استمرارية وجوده في حياتنا كأخٍ وصديقٍ بيكون أفضل من البعد والعداوة مليون مرة، حياتنا مش بتكمل وتحلا إلا بوجود اللي بنحبهم ويحبونا، ومش معقول هنرتبط بيهم كلهم.

أيقنت ريهام أنني لا أبغضها وأنني أعتبرها شخصاً أساسياً في حياتي، كنفس وجود حمدي في حياتها.

ثار بعض الأصدقاء على ريهام بسبب سوء فعلتها وعقدوا النوايا على الإيقاع بيني وبينها وكانت قد أضافتنا أنا وفريدة مجدداً إلى مجموعة (دقات قلب) لنشهد عداء الجميع لها، لم يعلم الأصدقاء شيئاً عن علاقتي بفريدة، لكنهم جميعاً يظنون أنّ هناك علاقة مؤكدة بيني وبين ريهام، مما دفعهم لمحادثتي، حتى السيدة كريمة التي اعتبرت أن نصيبها من الإهانة كان الأكبر لأنها مدير المجموعة ومؤسسها، وراسلتني مجدداً.

_ ريهام أعلنت بيننا ارتباطكم من فترة، يعني هي مسؤولة منك دلوقتي، كنت لازم تمنعها عن إهانتنا يا أستاذ علي.

ما كان يجب عليّ سوى احتواء ريهام واحتواء أزمتها. لن أتركها صريعة أحزانها كالطير الذبيح الذي لا حول له ولا قوة. ليتني أجد لأخطائها وأحزانها مخرجاً وسبيلاً.

حاولت إصلاح علاقتها بمدام كريمة وباقي صديقاتها اللواتي كادت أن تخسرهن جميعاً قائلاً:

_ هي فعلاً غلطت، لكن أنا واثق أنها عملت كده بدون قصد.

أجابتني مدام كريمة

_ ريهام دي بنت مش كويسة، مفيش بنت محترمة تفضح زميلاتها بالشكل ده، ولا تتصرف بالهمجية دي.

_ أنا بعتذر لحضرتك يا مدام كريمة وللجميع نيابة عنها حضرتك أختنا الكبيرة وأنا واثق أن ريهام بتحبك جداً

_ لا، أنا هعمل لها حظر من المجموعة ومن صداقتي رغم أنها كانت غالية عليا جداً وبيننا عشرة سنين طويلة لكنها نسيت كل ده، وأفتكر كل اللي أهانتهم هيعملوا كده.

ما كنت أتمنى أن يصل الحال بريهام هكذا فقد كانت الأحب والأقرب للقلب لدى الجميع، ولكنّه عدم تملك النفس عند الغضب. فتأتيني ريهام تشكو حزنها جراء ما فعلت وما فعل معها قائلة:

_ شايف يا علي، كل أصحابي بعدو عني خلاص، بقيت وحيدة .

رغم خطأها غير المبرر للجميع إلا أننا نعلم أسبابها ونلتمس لها ألف عذراً فخاطبتها قائلاً:

_لا يا ريهام، أوعي تقولي كده، أنتي عارفة إن أنا وحمدي وفريدة معاكي لآخر العمر، أنتي غالية علينا كلنا ومعانا عمرك ما هتكوني وحيدة.

استكملت حديثها الموجع قائلة:

_ كلهم يعرفوا إن فريدة أعز صديقاتي وأقربهم إلى قلبي، عشان كده كلهم هددودها بالانسحاب من صداقتها بسببي، لكنها رفضت عداوتي وأثبتت فعلاً إنها أفضلهم.

فريدة بتحبك يا علي، وقفت معانا في مشكلتي بسبب حبها ليك

تفاجأت منها بهذه الكلمات. برقت عيناي وتلعثم لساني بالكلمات لكنني يجب أن أمنحها رداً لائقاً على كلامها فقلت لها بصوت خفيض يبحث عن الحكمة والثبات قائلاً:

_ ولأنها صديقتك يا ريري.

_ لا، عشان بتحبك يا علي ومستعدة تضحي بالعالم كله عشانك.

_ أنتي ليه بتقولي كده.

_ بقول الحقيقة، ومش زعلانة، الحب قدر مش اختيار، وأنت حبيت فريدة وهي بتحبك، أنا واثقة إنها هتيجي عندك لحد بيتك عشان تشوفك

_ إزاي، دي بنت ما ينفعش تسافر لمحافظة بعيدة كدة

_ فريدة لو حبت بتضحي، هتحاول، هتتحدى الظروف عشانك، هتجيلك طايرة زي الفراشة ومهما تعبت هيكون على قلبها زي العسل، أنا متأكدة.

_ ريهام...

_ ما تقولش حاجة يا علي، فريدة أقرب ليا من نفسي وأنا متأكدة من كل كلمة بقولها...

ويأتي موعد رحلة رأس السنة إلى سانت كاترين وتذهب ريهام مع الفوج النسائي ويذهب معها حمدي برفقة الفوج الرجالي، يستأنس بها ويواسيها في محنتها ويعرض عليها حبه مجدداً وحاول صنع ذكريات جميلة معها في ذلك اليوم، أما عن ريهام، فبرغم عدم حبها لحمدي إلا أنها عشقت اهتمامه بها وبدأت تبحث فيه عن تفاصيل الزوج آملة أن يستوطن حب حمدي قلبها،

يبدو أن ريهام اكتسبت النضج الكافي بعد قرار فراقنا، فإنها قد علمت أن الحب منحة إلهية لا يجب علينا البحث عنه إنما الأوجب حقاً أن نبحث عن الاهتمام، فما كان حبنا للزهور كافياً لإبقائها حية وإنما الأوجب أن نهتم بسقياها لنهبها الحياة، هكذا هو الاهتمام، فراحت تبحث عن ذلك النوع من السعادة متجاهلة كل ما سمعته أو تخيلته عن ضرورة الحب في الحياة وأيقنت أنّه الاهتمام وحده كافٍ وكفيل لإقامة حياة زوجية أو إنسانية سعيدة وتكون مهرباً من درب الحب الإليكتروني الغاشم الذي طالما حطم قلوب الأبرياء.

نتواصل أنا وفريدة يومياً دون البوح لريهام بما اجتاح قلبينا من كل هذا الحب ومن حلو الغرام رغم إدراكها له، ويزداد الحنين بداخلنا إلى لقاءٍ قريب، نتصافح، وربما نتعانق، أقف بلا حواجز أمام عينيها الساحرتين التي أسرت فؤادي عشقاً، كم أتمنى يا حبيبتي أن أتحدى الأماكن والزمان سعياً في وصالك، ترى ماذا نفعل وكيف اللقاء.

عادت أمي من زيارتها لبيت خالي الذي كنا نقيم به سابقاً، رأيتها دامعة العينين يعتلي الحزن وجنتيها سألتها.

_ مالك يا أمي، زعلانة ليه؟

_أخوك علي الدين تعبان جداً. وخالك عايز يكشف عليه عند أكبر أطباء في القاهرة من بكرة

أعلم جيداً أن الحياة تؤتي دائماً أوجاعها الطيبين أكثر، كما كان حالها مع علي الدين ابن خالي الأكبر الحاج عبد العال وكان علي يكبرني بشهرين فقط، وأعلمتني أمي أنها أرضعتنا سوياً أنا وهو حيث لم تستطع والدته إرضاعه بسبب مرضها آنذاك، وحين وضعتني أمي أسمتني بنفس اسم ابن شقيقها الرضيع حباً له وإشفاقاً عليه.

لا يمكنني أن أرى علي الدين يتألم ذهبت إليه مسرعاً

_ أخويا، ربنا يطمني عليك يا أعز وأغلى عندي من نفسي.

يبتسم علي الدين كعادته حين يراني ويقول.

_ شد إيدي يا علي، عايز أقعد أتكلم معاك

شددت يده وأسندت ظهره بيدي ليجلس معي وحاولت طمأنته قائلاً:

_هتبقى كويس ياويكا بإذن الله، أنا معاك دايماً بعقلي وقولي، دايماً فاكرك وبسأل عليك ولولا السفر عمري ما كنت هبعد عنك أبداً يابن خالي

ليتنهد حين سمع كلمة ابن خالي قائلاً:

_ يااااه يا لول، عمري ما حسيت إنك ابن عمتي أو أني ابن خالك، طول عمرنا واحد...

وأخذ يستعيد أجمل ذكريات عمرنا قائلاً: زمان كانوا يشتروا لنا ملابس العيد زي بعضها عشان محدش مننا يغير من التاني لكن ملابس أخواتك تختلف عادي، كنا مع بعض في المدرسة والبيت والشارع، حتى وقت النوم كنا ننعس واحنا بنكتب الواجب سوا على سرير أي حد مننا.

تبسمت إليه وأنا أربت على كتفه، وأنا أجلس بجانبه أسانده قائلاً:

_أنا فاكر كل حاجة يا ويكا عشان كده بقولك لازم تتعالج عشان نكمل مشوارنا وأحلامنا سوا.

_أنا رايح بكرة أتابع مع دكتور أخصائي واستشاري كبير في القاهرة تابعت عيادته على الإنترنت بيقولوا ممتاز جداً في علاج أورام المخ.

يتابعني علي الدين عندما أفصح عن مرضه، أحتبسُ أوجاعي حزناً عليه ولكن يكشفني احمرار لون عينيّ ومحاولتي الفاشلة إخفاء دموعي. أحاول مواساته قائلاً:

_ لا يا ويكا، أنت كويس عندك شوية تعب عاديين الأطباء هنا طمنوا خالي

_ما فيش داعي لمواساتي يا لول، أنا أخدت الروشتات وعرضتهم على الدكتور، وسألته عن حالتي، وطلب مني أشعات وتحاليل لأنه لازم يباشر الكشف عليَ عالطبيعة

_ بإذن الله يكون خير ويكون الشفاء على إيده يا ويكا، ربنا كريم وكبير، وقررت الذهاب معه للطبيب وأعلمته قائلاً:

_أنا هاجي معاك بكرة القاهرة.

_ لا، مش هتيجي يا لول.

رغم غضبي الشديد من قراره إلا أنني سألته:

_ ليه يا ويكا؟ ليه مش عايزني أكون معاك وقت احتياجك ليا؟

_ أنت لسه راجع من سفرك من أيام، ربنا يكون في عونك، الغربة سجن وأنت غصب عنك ضاعت أجمل سنين عمرك جواه، عايزك تفرح وتعيش سعيد عشان عمتي وبناتك يستمدوا فرحتهم منك يا علي.

أجبته بغضبٍ على اعتراضه على قرار مرافقته قائلاً:

_ فرحتي وأنا معاك، يا علي أنت مش ابن خالي بس، أنت أخويا، احنا عشنا عمرنا كله سوا ماقدرش أسيبك

_ اِنسَ يا لول، أنت الوحيد مقدرش أنكسر ولا أضعف قدامك، لكن لو مصمم تيجي معايا تبقى تنفذ اللي هطلبه منك

سعدت بأنه سوف يستعين بي لقضاء شيءٍ ما وأردفتُ:

_ سامعك يا ويكا، اطلب وأنا أنفذ مهما كان طلبك

_ تعالى بكرة معانا القاهرة أنت وبناتك، أنا هروح مع خالك للدكتور، وأنت خد بناتك فسحهم، افرح معاهم وبيهم وحسسهم بوجودك

_ أتفسح وأنت تعبان يا علي

_ أيوة، إيه المانع، وأخذ يستعيد بعض الذكريات بعد أن شرد ذهنه قائلاً:

_أنت فاكر واحنا صغيرين أيام الدراسة إيه الحاجة الوحيدة اللي افترقنا فيها وقتها؟

_أيوة فاكر، الرحلات المدرسية، أنت روحت الأهرامات وحديقة الحيوانات، وأنا عمري ما روحتها لأن ظروفنا المادية كانت لا تسمح برحلات ولا دروس خصوصية.

_ خلاص يا سيدي، أنت بكرة هتزور الأماكن دي مع بناتك عشان تفتكرني وتنسى إني زورتها من غيرك.

حاولت التنصل من ذاك الوعد من أجل مرافقة علي الدين إلا أنّه أصرَّ متعشماً فيّ بقبول طلبه وذهابي برفقته لقضاء تلك النزهة مع ابنتيّ.

عدت إلى منزلي رغم عدم اقتناعي بفكرة التنزه قبل الاطمئنان على علي الدين، لكنني وعدته بتنفيذ طلبه، أخبرت هبة ومنة إنني سأصطحبهما إلى أول رحلة خارج نطاق المحافظة لأرى أحلامهما البريئات عن ماذا يفعلن غداً وماذا يرتدين. وأخبرت أمي لكيلا تجلس وحيدة؛ فتذهب لتقضي يومها مع أم علي الدين زوجة خالي، تتآنس بوجودها وتخفف عنها أحزانها لما أصاب ابنها، خاصة أن علي الدين قد تزوج من سنوات طويلة، ولكنه لم ينجب وانفصلت عنه زوجته أملاً في الزواج من غيره بهدف الإنجاب، لذلك كان علي الدين المستحوذ الأكبر على قلوب الجميع شفقة وإحساناً. اتصلت بفريدة أخبرها عن زيارتي برفقة ابنتيّ وأعلمتها بكل التفاصيل. كانت الساعة الخامسة عصراً. تمر الساعات إلى أن اقتربت الساعة من الحادية عشرة مساءً.. موعد نومي لأستيقظ مبكراً لرحلتي المنتظرة. وكعادتي أتواصل عبر الماسنجر مع فريدة أطمئن عليها وتكون هي آخر من أسمع صوته قبل نومي يومياً لأجد رسالتها...

كلمني ضروري يا علي.

اتصلت بها:

_ علي، أنا هقولك حاجة بس أوعى ترفض

حدثتني بصوتٍ جادٍ جداً لا ليونة فيه، وكأنما تعمدت إيحاء وجود مشكلة لي، يرتجف قلبي خوفاً مما

لاحظت من نبرة صوتها، سألتها:

_ قلقتيني يا فريدة، حصل ايه؟

_أنا أخدت قرار ولو الدنيا كلها وقفت ضدي مش هتراجع، هنفذه برضو

_ طيب أعرف إيه القرار عشان أفهم.

_ أنا بكرة أخدت إجازة من الشغل عشان أقضي اليوم معاك يا بونتي

طار عقلي فرحاً وكأنما بالغد سأولد من جديد لحياةٍ لا تعرف سوى السعادة، نعم أشعر وكأنّ فجر عمري سيبدأ غداً، أما كل ما مضى فما كان إلا مجرد أرقام لعدادٍ زائف لا تبت إلى الواقع بصلةٍ، صرخت منبهراً

_ واووووو، معقولة يا فريدة بتتكلمي جد؟

يا لها من أجمل مفاجأة ستحدث لي، إنها تعلم كم أشتاق إليها لذا كانت تداعبني بحدةِ صوتها، حتى أخبرتني بقرارها رؤيتي وكأنما تحادثني طفلة صغيرة بكامل دلالها وعذوبة إحساسها، إنها سعيدة حقاً ربما أكثر مني. لم

أستطِع النوم حينها فكل ما يشغلني أنني سأراها غداً... مراوغة طويلة بيني وبين النوم كلما تمنيته لأستيقظ نشطاً، إنني أنوي اغتنام كل لحظة معها سنتحدث كثيراً ونمشي كثيراً ونذهب لعدة أماكن، وليس لمكانٍ واحدٍ، لم أستطِع السيطرة على إحساس قلبي الراقص فرحاً لما ينتظره بالغد لم أنم سوى ساعتين فقط طوال ليلي، ويأتي الصباح أصطحب هبة ومنة إلى بيت خالي الذي استأجر إحدى سيارات الأجرة الخاصة مستعيناً بها للذهاب إلى القاهرة.

وصلنا إلى ميدان رمسيس، تركتُ علي الدين ووالده الذان رفضا مسبقاً أن أفعل سوى التنزه مع ابنتيّ.

كنت متواصلاً مع فريدة طوال الوقت.

أنتظرها أمام إحدى الحدائق. بشارع الهرم، مترقباً لحظة قدومها. تتسابق دقات قلبي مع دقات عقارب الساعة وعيناي ترقب كل الحافلات المارة عساها تهبط من إحداهم قادمة إليّ، إلى أن تم ذلك بالفعل وأجدها قادمة نحوي، لم أدرِ ما سبب تزايد عدد دقات قلبي تلك فور رؤيتها ولم أستطِع الثبات أمام ابنتيّ، وتوجهت نحوها مسرعاً لتشهد عيناي أجمل إطلالة بالعالم مع تلك البسمة التي تعتلي وجهها القمري وهي تشاور للسيارات بكل ثبات

لإلقاء التحية ولإعلامهم بمرورها بينهم قادمة إليّ وتقع عينا كلاً منا على الآخر وكأنه قانون آخر للجاذبية لم ندرسه من قبل.

أجتذبها مسرعاً من الطريق وبين تلعثم كلماتي وانبهاري بجمالها أود التحدث إليها أبحث عن الحروف، ماذا يقال بمثل هذه المواقف، فمع اشتعال مشاعر اللقاء الأول وحكايا النظرات والعبرات تاهت كل المعاني وكل الكلمات... أخبرتها:

_ النهاردة بس عرفت إني لسه عايش، وجودك في حياتي وهب لي عمراً جديداً.

يمتدُ نظرها بعيداً نحو ابنتيّ، قائلة:

_ اهدأ يا مجنون، بناتك هيلاحظو.

أفقتُ من غفوة انبهاري بها عائداً إلى أرض الواقع باحثاً عمّا يجب عليّ أن أفعل.

_تعالي أعرفك بيهم.

واصطحبتها إليهما، فتمنحمهما ابتسامة لم يشهد لها من قبل مثيلاً، وأخبرهما: دى طنط فيري اللي كلمتكم عنها يا بنات.

يستقبلانها بالأحضان والقبلات كأنما تعرفانها بالمودة منذ زمن بعيد.

وضعت يديها بيد ابنتي منة قائلة:

_ يلّا نعدي الطريق أنا همسك إيد واحدة وأنت امسك إيد التانية.

_ حاضر، بس خليكي جنبي هنا.

وما أن بدأنا نعبر الطريق إلا دون أن أشعر وجدتني أجتذب كفها الرقيق بين أناملي وكأنّما الحياة بأكملها زينتها وأفراحها تسير بجانبي،

أتشبث بها وأخاف عليها من لهو الأقدار ومن عبث الطريق، لم ننتبه للطريق ولا لمن بيدينا وسرنا دقائق معدودات حتى وصلنا إلى بوابة الدخول لحدائق الأهرامات تركت ابنتيّ برفقتها وذهبت نحو الشباك لحجز تذاكر الدخول، لأجدها تقف بجانبي هامسة لي:

_ لولا أننا بين الناس كنت حضنتك، بحبك.

تاه عقلي ولم أعد بنفس اتزاني المعهود، وكأنني شخص غريب عني، لا أعرفه ولا يعرفني، من أين إليّ بكل تلك المشاعر تجاهها، أعلم أنّها زائرتي حيث كنت جنيناً برحم أمي، أجل... إنها حبيبتي التي لم تغادر أحلامي يوماً، ولكن كيف لها بين عشية وضحاها أن تصبح واقعاً ملموساً، أن المشاعر المبعثرة من خلال مواقع التواصل إذا ترجمت واقعاً ملموساً تمنحنا البهجة والسعادة وتبدل روتين حياتنا الاعتيادية إلى حلم وردي جميل نتمنى ألا نستفيق منه طوال حياتنا.

اغتنمت الفرصة حين ازدحام الناس نحو شباك التذاكر وألقيت بحافظة نقودي أرضاً، وادعيتُ محاولة الانحناء لالتقاطها وصدمت نفسي بها وقبل سقوطها أرضاً اجتذبها بين أحضاني ولو ثوانٍ وكأنما فقدت عوامل العمر والرزانة. فبرغم بلوغي السبع والثلاثون عاماً إلا أن صبيانيتي ومراهقتي المتأخرتين لم تنفجرا إلا حين وجودها معي، وانحنيت ألتقطُ حافظتي. فتسبقني ممسكة إياها أحاول اجتذابها لأمسك بيدها مرة أخرى وأطلق عنان بصري حيث فضاء عينيها الساحرتين لبضع ثوانٍ ثم نهضت واقفاً وهي باسمة متعجبة لما قد حدث. وتخبرني:

_ الصور والمحادثات ظالماك جداً، أنت أجمل من الصور مليون مرة.

تلقيت كلماتها بخجل طفلٍ فأنا لم أعتَد الكلام الجميل، أعلم أنني خجول جداً، ربما كان يجب عليّ أن أمتدح جمالها وليست هي، لكنها رغم صغر سنها إلا أنها كانت القائد لبهجتنا في رحلتنا تلك.

دخلنا ساحة الأهرامات تملؤنا سعادة لم نشهد لها من قبل مثيلاً، تاهت بين ابنتيّ وكأنها ثالثتهما، تسترد بينهما ومعي طفولتها المفقودة التي لم تنعم بجمال تفاصيلها بسبب ظروفها القاسية.

_ فريدة، تليفوني قرب يفصل شحن وعايز أتصور هنا.

_ فاكر يا علي لما قولتلي أنا نفسي في صورة تجمعنا سوا.

_ أيوة فاكر، ولسه محتفظ بالصورتين اللي عملتيهم عن طريق برامج فوتوشوب

_ النهاردة هنتصور مع بعض حقيقي وحلمنا يتحقق يا علي.

كانت معظم كلماتنا بالهمسات والعبرات تحفظاً لوجود هبة ومنة معنا، قامت فريدة بتسجيل كل لحظات الرحلة تصويراً على هاتفها. ثم خرجنا دون أن نكمل جولتنا بالأهرامات فلم ندخل أياً منهم ولم نصعد أحدهم مكتفيين بالمشاهدة عن قرب والتقاط مجموعة الصور لكي نتمكن من الذهاب إلى أماكن أخرى.

غادرنا الأهرامات متجهين إلى حديقة الحيوانات، ونحن نجلس بالحافلة أحسست بغضب فريدة. سألتها:

_ مالك يا فيري؟ حاسس إنك زعلانة من حاجة.

_ أبداً، بس أنت عندك أولويات يا علي، بناتك أنا عارفة إنك مهتم بيهم فعلاً والرحلة دي عشانهم. ويمكن وجودي يشغلك عنهم، وأكيد أنا كمان ماما وأخواتي محتاجين وجودي معاهم.

_ لا يا فريدة، أرجوكي، أنا عايز أقضي معاكي أطول وقت ممكن، أنا مش عارف ايمته الظروف تجمعنا تاني وجوايا كلام كتير نفسي أقوله ليكي.

فتجيب متنهدة:

_ حاضر يا علي.

لاحظت غيرتها الشديدة عليّ حتى من ابنتيّ، رغم محاولتها إخفاء ذلك، فقمت بتغيير مجلسنا حيث كانت تجلس بجانب منة وأجلس أنا بجانب هبة فكرت ما يجب عليّ فعله من أجل إسعادها دون ملاحظة ابنتيّ الاهتمام الزائد بها فرحت قائلاً:

_ يا بنات، اقعدو جنب بعض أنتم وسيبوني أقعد جمب طنط فريدة أرحب بيها لأنها ضيفتنا النهاردة

_ حاضر يا بابا.

وجلست بجانبها في المقعد الخلفي وأمامنا الصغيرات يرقبن الحياة بأكملها سعادة وبهجة متنعمين برحلتهما.

وضعت يدي بيد فريدة، فقامت بتصوير كفها الصغير نائماً بين أناملي كطفلٍ صغيرٍ أخذه النعاس بين أحضان والده فيضمه والده برفق وحنان.

وصلنا حديقة الحيوانات وبنفس الطريقة أسير ممسكاً بيدها ويد ابنتي وهي ممسكة بيدي ويد ابنتي الأخرى وبعد حجز التذاكر قمنا بالدخول إلى الحديقة.

_ فريدة، أنا فرحان جداً أن أول مرة في حياتي أدخل حديقة الحيوانات وأروح الأهرامات كانت معاكي.

تبتسم بطفولية وبراءة تجتاح العقل وتختلس المشاعر

_ أنا كمان أول مرة في حياتي أروح الأماكن دي، وسعيدة أنها معاك

تعجبت عن تأخرها لزيارة تلك الأماكن الجميلة سائلاً إياها:

_ إزاي؟ أنتي ساكنة هنا قريبة من الأماكن كان لازم تخرجي لزيارتهم كذا مرة.

لتلاحقني بالرد قائلة:

_ كنت نفسي تكون زيارة الأماكن دي مع بابا لكن للأسف، الظروف كانت أقوى مننا.

أشفقتُ على يتمها وقررت ألا أدع ذلك الإحساس يطغى على سعادتنا بهذا الوقت فأنا اعتبرتها قطعة مني فكيف أتقبل شعورها باليتم وأنا واهب روحي فداءً لها!! فلاحقتها قائلاً:

_ الله يرحمه، وبعد لحظات سألتها، يا ترى ممكن تسمحي لي أكون أنا مكان بابا النهاردة يا فيري؟

نظرت إليّ لتجدني ثاقبَ النظر إليها بشوق الحبيب العاشق وبرأفة الأب الحنون، تبسمت رغماً عنها حاولت عدم إظهار مشاعرها ولكن دون جدوى فعادت تثقب النظر إلى عيني قائلة:

_ أنت بابا وأخويا وابني وحبيبي ودنيتي كلها، كل حاجة حلمت بيها زمان بعيشها معاك يا علي.

كانت دقيقة الرد مختصرة الأفكار واضحة النوايا وكانت جولتنا داخل الحديقة أشبه بالحلم، اكتملت البهجة برؤية الحيوانات والطيور بجميع أنواعها، والتقطت لنا فريدة بينهم عشرات الصور، ومن بينهم مجموعة جميلة تجمعني بها، وبالحديقة وجدنا راسم الحناء السائلة، صرخت فريدة فرحاً قائلة:

_ واووووو الحنة، تعالو يا بنات هديتي ليكم أجمل رسم بالحنة على إيديكم، عشان تفتكروني.

وددتُ مشاركتها أدق التفاصيل حبّاً وولهاً بها.

_ لا يا فيري، أنا عازمك على رسم بالحنة وتفرحي زيهم مش اتفقنا إني النهاردة مكان بابا؟

أخذت تفكر بالأمر، ثم أجابت بالرفض قائلة:

_ نفسي بجد، لكن ماما هتسألني عنها، بلاش أحسن.

تركنا هبة ومنة مع راسم الحناء وابتعدنا عنهما قليلاً.

تحدثنا، فرحنا، عشنا تفاصيل الحب للحظات، وبعد الحناء

كانت ابنتاي بحاجة إلى الذهاب لدورة المياه. اصطحبتهما برفقة توءمتي فيرى وطلبت منها مرافقتهما.

وانتظرت بالخارج بينما تقف فيري بالقرب منهما. أنظرُ إليها وتنظر إليّ وفجأة يعم الصمت والهدوء المكان، فأجدها دون وعي تسرع نحوي محلّقة بذراعيها كطيرٍ يعانق الهواء حبّاً واشياقاً. فأستقبلها تاركاً على شفتيها أول مرسولٍ للحب يمثلني، يحمل لهفتي واشتياقي إليها من مجرد حلم إلى حقيقة عارية. إلى واقع ملموس، هو أنا بكل مشاعري هو جنوني وشجوني وانتصاراتي. لنستفيق مجدداً مبتعدين خشية أن يرانا أحد، فتصيح بأعلى صوتها قائلة:

_ يا دين النبي.

رغم ذهولي وفرحتي لم أستطع التحدث، وقفت مبتسماً أراقبها شغفاً من بعيد.

خرجنا لاستكمال رحلتنا فتجد بائع اللب فتطلبه مني هبة ومنة، فأرفض، فتهمس في أذنيهما.

_ يا بنات تعالو نجري بسرعة أجيب لكم لب ومش نعطي منه لبابا.

فيبتسمن جميعاً ويجرين نحوه وتشتريه لهنَ رغماً عني، وهي تعلم أنني لن أرفض لها أمراً ولكنها كانت تحاول صنع الذكريات الطريفة التي بالتأكيد سنتذكرها دائماً، وحين عادت عاتبتها مجادلاً:

_ ينفع كده يا فيري، ناكل لب واحنا ماشيين بين الناس كده؟

_ يا بونتي النهاردة لازم يبقى يوم مختلف، تعيش معانا أجمل تفاصيل نفتكرها كلنا طول حياتنا.

تسلبني جذباً إلى عهد المراهقة، ونأكل اللبّ جميعاً إلا هي قالت:

_ مش باكل لب لأني مش بعرف أقشره

استغللت كلمتها ونهضت قائلاً:

_ أنا أقشر لك يا فيري.

ورحت أنتزع القشور عن حبات اللبّ وأعطيه لها على أطراف شفتيها

وفجأة أقتحم شفتيها ويبتل إصبعي من شهد رضابها. أبيت أن يضيع الشهد هباءً فأخذت أمتصه بفمي ظناً مني أنّها لا تراني، فوجدتها تصاب بنوبةٍ شديدةٍ من الضحك قائلة:

_ يا مجنون

_ إيه ده، إنتي لاحظتي؟

_ أيوة

رسمنا بضحكاتنا وذكرياتنا الجميلة لوحة عشق ظننت أنّه لم ولن يمحوها الزمن على جدار ذلك اليوم الخالد في رحلة عشقنا وحياتنا.

يقترب المساء ويجب علينا الرحيل، غادرنا تلك الأماكن بأجسادنا لكننا مازلنا أسرى أجمل ذكريات عمرنا بداخلها. صعدنا المترو باتجاه عودتنا. تقف أمامي ثاقبة النظر إليّ قائلة:

_ كان يوم جميل زي الحلم يا علي

_ طول مانتي معايا هنعيش أيام أجمل يا فريدة

نظرت بخجلٍ نحو الناس ثم قالت:

_ الناس ملاحظة نظراتي ليك، وبيهمسوا علينا، وملاحظين خجلك، ثم أردفت قائلة: مش هنسى أي لحظة عشتها معاك، لكن للأسف السعادة

دايماً عمرها قصير، أنا هنزل المحطة الجاية، وأنت هتكمل، بس مش عايزاك تشوفني وأنا نازلة

سألتها بشيء من الرفض والاستياء:

_ ليه يا فريدة؟

مش عايزاني أودعك؟

أجابت بحزنٍ مرددة نفس كلامي ولكن بمغزى آخر قائلة:

_ لا، مش عايزاك تودعني، ولا عايزة أودعك يا علي، عايزة أكمل عمري الجاي كله معاك من غير غياب ولا عتاب ولا وداع.

_ خايفة أشوف دموعك ولا خايفة تشوفي أنتي دموعي وأنا بودعك؟

_ عشان خاطري، ركز مع بناتك عشان اللحظة دي تمر سهلة علينا وبإذن الله أيامنا الحلوة جاية.

وصلنا إلى تلك المحطة التي لم أتذكر اسمها وتولي فريدة مدبرة، وتنظر إليّ متوسلة بتحقيق مطلبها وعدم النظر إليها. وما أن بدأ المترو بالإقلاع حتى أسرعت باحثاً عنها لألقي عليها نظرة الوداع، فوجدتها تنظر إليّ باكية من خلف النوافذ الزجاجية، بادلتها النظرات فاقد القدرة على التمتمة حتى بأية كلمات، أصبحت فريدة المستحوذة على معظم حوارتي مع ابنتيّ، فكانتا دائماً

تطلبانها للاتصال وسألتها إحداهما عن إخوتها وجعلتهما تتحدثان مع أختيها هنا ورنا وأرسلت لهما عبر هاتفي كل صورهما أثناء الرحلة واحتفظت بصورنا سوياً فقط.

وبدلت لون الشات الثابت بيننا إلى الأخضر والرموز التعبيرية إلى قلب سألتها:

_ توءمتي، اشمعنا الأخضر؟

_ لأنه لون الجنة اللي بعيشها معاك يا بونتي.

_ طب والقلب

_ والقلب لأنه بقا ملكك خلاص

أغمضت عيني هائماً في بحار عشقها ثم دعوت لي ولها

_ ربنا ما يحرمني منك يا فريدة يا توءمتي

غابت مبتسمة منتعشة بلحظات من السعادة ثم تذكرت شيئاً قائلة:

_أنا امبارح كتبت اسمك جنب اسمي كأنك بابا، فريدة علي الدين، فكرت فيك كتير نعست وحلمت إني معاك.

أخذنا نتواصل كل وقت وكل لحظة وكل حين. كان غرامها حقاً يجتاحني.

وبعد أيام أصحو فزعاً على صراخ أمي، هرولت إليها لأجدها تحاول ارتداء الثوب الأسود وبجانبها إحدى فتيات العائلة سألتها:

_ مالك يا أمي؟

لم تسطع الرد عليّ لتجِبني تلك الفتاة قائلة:

_ علي ابن خالك، الله يرحمه.

_ إنه علي الدين، الأخ والعشير والصديق، أشعر و كأنما صوبت بكلامها سهماً قاتلاً يخترق أحشائي، وينزفني دماً، هرولت إلى الشارع، ومن هول فزعي وصدمتي لم أعِ أنني نسيتُ ارتداء حذائي، يراني أحد جيراني هكذا فيسرع نحوي ممسكاً بي ويسألني

_ مالك يا علي؟

لم أستطع الرد عليه ويعلو صوتي بالبكاء؛ فترك لي حذاءه قائلاً:

_ بلاش تجري حافي، البس ده وأنا هلحقك.

وصلت إلى علي الدين لأجده نائماً كالملائكة، مغمضَ العينين بشوش الوجه، أظنه مبتسماً

قبلت رأسه الطاهر، جلست بجانبه متكلماً وحسيراً، أظنه يسمعني.

_ لا إلهَ إلا الله، أنا معاك يا علي، معاك يابن قلبي، اتأخرت عليك كتير، كان نفسي أودعك يا حبيبي.

لم أدرِ هل غلبني النوم وأنا جالسٌ هكذا أم غبت عن الوعي لكن كل ما أذكره أنني استعدت ذكريات عمرنا سوياً كاملة، إلى أن حملوني بعيداً عنه، أفقت من ثُباتي لأجدهم أتوا بالماء الدافئ وأدوات الغسل، دخلت إليهم، وقفت على غسله وشاركت فيه فأنا أخوه ولا أحد غيري أولى مني بذلك.

إنّ علي الدين لم يمت بداخلي هو حيٌّ يرزق يقتسم معي العيش والملح، نتشارك كل شيء حتى الملابس كعادتنا طوال العمر.

تتصل بي فريدة طوال الوقت كعادتنا، وحين لم تجد مني استجابة لاتصالها أرسلت لي عشرات الرسائل نهاراً لكنني لم أرَها مما أثار ذلك قلقها، وبعد ساعات طوال استقبلت اتصالها صامتاً، فرأت دموعي، سألتني بصوتٍ خافتٍ:

_ حصل إيه يا علي؟ قلقتني.

أخذتُ أستجمع قواي لأستطيع الرد دون انفعالٍ أو بكاءٍ قائلاً:

_ علي، ابن قلبي وأخويا، مات خلاص... ثم أردفت قائلاً: نصي التاني مات واندفن خلاص يا فريدة

نطقتها وسالت دموعي شلالاً، وأغلقت الهاتف لم أكمل حواري معها. لتخبرني لاحقاً أنّها أيضاً ضاعت في بحر من الدموع وعندما رأت ذلك والدتها سألتها مالسبب، قالت إنها تذكرت والدها، عدت لكتابة الشعر مجدداً؛ فحبّي لعلي لم يسمح لي إلا أن أبقيه حياً طوال حياتي مشاركاً معه كلّ تفاصيلها كما تعودنا فكتبت له ما أود أن يحدث وأن يكون قائلاً:

أنا عائد...

أنا عائد

وعهدي في الهوى سائد

سأكتب قصة اليوم...

أنا الملتاع في عهد الهوى البائد

أنا عائد

أحبك يا رفيق الدرب وحبك للأبد خالد.....

يا مَن رجوت الله حبّاً فيّ ينجيني

دعوت بقلبك الراشد....

أن احفظ يا إله الكون أخي

فمن لي غيره ساعد..

أنت الذي أيقظتني من غمسة الأوهام

رددت عقلي الشارد..

وكنت بقاحل الأيام بوقت الشرود والإعصار...

نسيم بالهوى بارد...

تردد دائماً قلبي أراك الحلم والعزم

فلا ضار ولا فاسد..

قد استلهمت من عينيك نظرات بها أني

أنا الحالم...

أنا الشاكر أنا الحامد...

ومن ضحكاتك العذبات عرفت أن العمر محسوب

بحلو الوقت والوارد...

يا مَن رجوت الله يجعلني أخاً صالحاً.

أشارك حلمك الواعد..

دعوت الله يا قلبي ليرعاك...

وفي الخيرات نتعاهد...

يديم الله ودك لي وتجمعنا.

حياة العاشق الزاهد...

يا إلٰه الكون هذا أنا وهذا أخي.

تواعدنا على الإخلاص نتكابد...

فأكرمنا وجمّل يا إلٰه العرش

دنيانا وآخرتنا وفي الجنات فاجمعنا...

ففي الدنيا سئمنا العيش لكنا سنتواعد...

سنتواعد على التقوى

ومهما غوتنا النفس بالآثام نمحوها..

وفي الإخلاص نتصامد..

فملك أخي بفضل أخي

أنا عائد

وعهدي في الهوى سائد

....

عانيت بعد وفاة علي الدين حالة من الاكتئاب، لم أجد في حياتي طوق نجاة ولا شعاع أمل إلا فريدة، ولكنها ماذا تفعل، وهي ربة الأسرة رغم وجود والدتها، فهي التي تعمل وتكد ساعية على أرزاقهم، والدتي لازمت بيت خالي لفترة، فابنه كان عزيزاً عليها واصطحبت معها هبة ومنة وكنت أجلس وحيداً، يجب عليّ استعادة ثباتي، أحتاج السعادة لاستكمال كفاحي فمسؤولياتي جسام، واقترب موعد سفري، تواصلت مجدداً عبر الفيس بوك بإحدى الفتيات اللواتي عرفتهن من خلال مجموعة (دقات قلب) والتي غادرتُها مسبقاً أنا وفريدة بعدما اكتفينا ببعضنا عن عالم البحث عن حبيب، ظننت مخطئاً أن المخرج من أحزاني سيكون من خلال فتاة عبر نزوة أو كسر حواجز المألوف، تواعدنا أنا وهي والتقينا وحدث ما لم أستطِع الإقرار بصوابه، فغرقت معها ليلة كاملة في عالم الفحشاء والرذيلة.

في تلك الليلة اتصلت بي فريدة مراتٍ عديدة، وكنت أخجل من محادثتها رغم أنها لا تراني، لكنني كنت أشعر بقباحة ما أفعل أنا مستاءٌ من نفسي وغير راضٍ عنها، لم أستطِع الرد على فريدة، سألتني تلك الفتاة:

_ هي دي فيري زميلتنا في المجموعة؟

_ أيوة، بس بلاش تعرف إننا اتقابلنا أرجوكي

أجابت الفتاة بدهاءٍ والتواءٍ قائلة:

_ ياه، ده حب بقا وأنت خايف تخسرها

_ أيوة.

رددتُ هكذا وأنا أتألم من جرم ما أفعل

أُفاجأ في اليوم التالي بإشعارٍ يخطرني أنّ فريدة أصبحت صديقة تلك الفتاة على حسابها الشخصي وليس المستعار، ماذا أفعل، سيظن جميع من يراها صديقة لدى تلك العاهرة أنّ فريدة مثلها وتصبحُ مطمعاً للمنحرفين، قررت الاعتراف بذنبي لفريدة، حادثتها بخجلٍ لا تكاد تسمع صوتي:

_ فريدة، أنا ضعفت وأذنبت، لكن ماليش غيرك، عايز أعترفلك وعشمي تسامحيني، أنا حالياً بكلم فريدة الصديقة والأخت والأم

ردت عليّ بصوتٍ هادئٍ منخفض، مترقبة ذلك الاعتراف الذي لم أستطع أن أحمله بمفردي قائلة:

_ قلقتني يا علي، عملت إيه؟ اتكلم.

لم أقوَ على التحدث ولم أعلم ما سأفعله صائباً أم أنني بفعلتي هذه سأدمر ما بنته بيننا الأيام والذكريات، فلاحقتني بإصرارٍ قائلة:

_ أنا اعتبرتك كل أهلي ولأنك بتعتبرني بميت راجل أنا والدك وقت أفراحك وأتراحك يا علي.

أجبتها نافياً ردها قائلاً:

_ أكيد تقصدي مكان والدتي؟

_ لا، والدتك ست عظيمة، لكن لأنك فقدت حنان والدك أنا مكانه.

تذكرت قولها الثابت، أنا أكبر منك بس أنت اتولدت قبلي يا علي

أخبرتها:

_البنت اللي كلمتك امبارح وأصبحت صديقة عندك، مش كويسة، احذفيها

سألتني عنها قائلة:

_ تقصد...؟ طيب أفهم حصل إيه.

أخبرتها بكل ما آلت إليه نفسي من سقوطٍ، تناسيت أنّ ذلك يوجعها فهي الحبيبة العاشقة، كنت أخبر فريدة بكل تفاصيل حياتي، فإن كنت مسيئاً فإنني أصارحها كابنٍ ضالٍ يخبر والديه بأخطائه، ليتخذ منهما أماناً وحصناً وإن كنت محسناً فأخبرها لعلّها تلتمس من أفعالي الحميدة ما يزيدها بي عشقاً، وتحدثت إليها كنفسي فلم يعد لي بهذا العالم غيرها ولكنها تواجه صراحتي معها بعدم القبول قائلة:

_ يعني خونتني يا علي؟ كسرتني؟
الله يسامحك على اللي عملته فيا.

.....

"فريدة"

ليه بعد كل فرحة بعيشها يتكسر ظهري، ليه ماليش نصيب مع السعادة، كل اللي حواليا ضعاف، بابا وأخويا وعلي، كلهم ضعاف قصاد نزواتهم، ايمته ألاقي الحضن والظهر والسند اللي أرمي كل حمولي عليه من غير ما يخذلني، كان أملي فيك كبير قوي يا علي، أنت اللي رجعتني البنوتة الصغيرة اللي مش خايفة من بكرة، معاك نسيت الظروف والوقت والمكان. يمكن تكون معذور، تايه بعد وفاة علي والغربة قاسية عليك وضيعت أجمل سنين عمرك، أنا متأكدة إنك بتحبني، لكن ليه مافكرتش فيا قبل ما تخون، أنت أكثر إنسان محتاج حضن وأمان زيي ليه جرحتني، رغم كسرة قلبي مسامحاك عشان نظرة الحب اللي كانت مالية عيونك وأنا معاك، هسامحك، بس يا ريت أقدر أنسى، وتبدأ فريدة مراسلتي

_ بونتي

عندما ظهرت أمامي رسالتها طار عقلي فرحاً، لم أصدق أنها هي واتصلت مسرعاً لأراها

_ توءمتي، وحشتيني أوي، أنا آسف، سامحيني.

_ معدتش تعمل كده تاني، ولا تجيب سيرتي لحد، أنا ملكك أنت بس، احتفظ بيا شيء جميل يسعدك وحافظ عليا عشان خاطري.

_أنا بموت من ساعتها يا فريدة. أنا عارف إني غلطان

تقتطع كلامي بخفة ظلها المعتادة

_سامحتك يا بونتي لأن دي أول مرة تغلط ولازم أتحملك، أنا بحبك يا غبي.

وعدت أعلمها بتفاصيل حياتي بالفترة القادمة قائلاً:

_ هتوحشيني يا توءمتي، أنا خلاص مسافر بعد بكرة

_ بسرعة كده؟ أوك بس عايزة أقعد مع هبة ومنة قبل ما تسافر

_ مش هقدر آجي كايرو يا فريدة، بكرة هرتب حاجات عشان مسافر بعد بكرة خلاص.

_ مين قالك إنك هتيجي؟ أنا اللي هجيلك.

_ أنتي أكيد بتهزري، صح ؟

تخيلتها تمزح معي، لم أصدق ما تقوله حتى صاحت بجدية هزلية قائلة:

_ فيري ما تعرفش الهزار، اكتب العنوان يا بونتي

_فيري

_ أنجز

رحت أخبرها بالعنوان ورتبنا المواعيد سوياً

_هتركبي سيارة أجرة من موقف عبود المنصورة، تنزلي موقف أجا وأنا هقابلك هناك

وتأتي بالفعل وأصطحبها إلى بيتي وتسألني والدتي عنها فأخبرها.

_دي فيري يا أمي، أخوها زميلي في السفر وجايبة أمانات أوصلها له.

صافحتها أمي ورحبت بها وحين نظرت إلى وجهها وجهت حديثها إليّ قائلة:

_ دي شكلها بنت حلال يا بني، ومحتشمة ثم أردفت بمزاح قائلة، مش راسمة حواجبها زي البنات الطايشة.

_ يا أمي دي بنت ناس من أصل صعيدي لكنهم عايشين في ضواحي القاهرة

_ ربنا يكرمك يا ابني بعروسة زيها

يحدث أحياناً رغم التزام بعضنا أن تأتي تلك التي تبدل طباعنا الشرقية إلى بعض الغربية وأحياناً نكذب لأجل إقحامها حياتنا بالمظهر اللائق بها. ترحب بها أمي وتذهب لإعداد الغداء ولم تعد الابنتان من المدرسة بعد،

وفور انفرادنا بغرفة الاستقبال لم تجد ملاذاً لجراحها إلا عناقي، عانقتها واحتويتها بين ذراعيّ ربما لدقائق ربما ساعات لم أتذكر، كل ما أتذكره أننا تجاذبنا الأحضان عنوة رغم تحفظ كلينا، ولكن إشعاعاً داخلياً جمع قلبينا فتعانقا دون أن تدري أجسامنا، أعلم أنها رغم تسامحها لا زالت غاضبة، اقتطعت الصمت قائلة:

_ أنا عائد وعهدي في الهوى سائد.

نظرتُ إليها مبتسماً حين رددت كلماتي قائلاً:

_ دي قصيدتي لعلي الله يرحمه

_ أنا قرأتها كتير لحد ما حفظتها

_ معقولة؟

_ أيوة، كل ده إحساس يا علي. بتخيل لو أنت كتبت عني قصيدة زيها هتقول إيه!!

_إحساسي هو اللي بيوصف مش أنا، فاكرة لما كنا عاملين مسابقة شعر وحدنا، تكتبي أبيات وتسأليني مين مؤلفها

_ أكيد فاكرة، أنا لو قرأت أي قصيدة لكبار الشعراء بدون ذكر اسمه عليها ممكن أعرفه لأني قرأت كتير وعرفت أسلوب كل واحد منهم، وبكتب

خواطر، لكن ما قدرتش أكتب شعر، لكن عشان خاطر عيونك أنا بدأت من فترة أكتب قصيدة واحدة أوصف بيها إحساسي تجاهك بكل بساطة.

تعجبت وسألتها:

_بجد؟ ويا ترى هتقدري؟

أنا منتظر القصيدة يا فيري وواثق إنها هتبقى تحفة.

وأعلمتني عمّا دار بينها وبين تلك الفتاة حين خصامنا.

أخبرتها الفتاة عما حدث بيننا وعندما أخبرتها فريدة أنني اعترفتُ لها واعتبرتها مجرد نزوة أرسلت إليها فتيات أخريات يخبرنها أنهن كن عن علاقات معي ويصفن لها بيتي وملامحي. طلبت منها حذف تلك الفتاة ورفيقاتها وإنهاء الأزمة فوافقت وقامت بحظرهن جميعاً.

وبعد سفري ببضع أيام غيرت فريدة صورة صفحتها الشخصية على الفيس بوك ووضعت صورة يدينا وكتبت عليها.

سنتواعد على التقوى ومهما غوتنا النفس بالآثام نمحوها.

وفي الإخلاص نتصامد.

أحد أبيات قصيدتي أنا عائد، وقالت لي:

_ صورتي الشخصية بقيت إيدينا في إيد بعض ومش هنتفارق أبداً يا علي

_ حبك أكبر وأعظم من اللي كنت بحلم بيه، وحياتي معاكي جنة

_ أنا كتبت القصيدة اللي وعدتك بيها، يا ريت تعجبك خصوصاً إني مش موهوبة.

_ أي حاجة منك بتعجبني يا توءمتي، أنا منتظرها

لم أتوقع سلاسة أسلوبها ووصفها، أقرأ كلماتها بقلبي لا بعينيّ، أي كرم إلهي هذا الذي منحني حبها وأهداها إليّ ورحت أقرأ قصيدتها.

"علي"

الحب إن كان جنة عشاق

راح أعيشها في حضن هواك يا علي

والحلم الغالي في ليل مشتاق

بيقول لدموع الهجر ارحلي

حبك في القلب أدب وحياء

كل أما يزيد في الدنيا غلي

تعالَ يا غالي.. يا قمري العالي...

بالفرحة بسحر عنيك نختلي

نخطف مالدنيا حبة ونعيش ونستخبا

ونقول احنا الأحبة يا سعادة اتكملي

ونقول يا حزن سيبنا ويا الغرام

حبينا يا رسالة غرامنا للعالم اوصلي

ياللي مقامك في القلب علي

ومالیش بعدك أحباب ياعلي

..علي..

دفا حضنك كان هنايا

وقلبك كان معايا والحب بينا كان

كان بينور حياتنا

ومحقق أمنياتنا

عشنا كل اللي فاتنا

مالحب ومالحنان

كانت الحياة جميلة في قربك

كل ليلة يا قصتي الطويلة

خليك بر الأمان

يا جنة عشت فيها كان الأمل ماليها

بعنيك الحلوة عشنا فرحة كل اللي كان

أنت الحياة ونعيمها ولا غيرك كان فاهمها

ولاغيرك شد قلبي ما أجملك إنسان

خليك بالحب جنبي ناسي

وأهلي وقرايبي وهدية مالرحمن

ياللي مقامك في القلب علي

ومالیش بعدك أحباب ياعلي

...علي...

لو شمس الحب غابت

والفرحة منا تاهت

وإن عشت يوم غريب

هعيش ازاي في بعدك

دي نظرة حلوة منك

بتخلي بالمحبة

كل الجراح تطيب

مين يقدر ينسى همسة

منك أو حتى لمسة

دي جراحي في بعدي عنك

ميداويهاش طبيب

ولا عايزة غيرك أنت حبيب

ومالیش بعدك أحباب ياعلي

..علي..

قلبي علمني حبك وأشوف حياتي جنبك

بنظرة تكون جميلة

وأعيش معاك لوحدك

ولا أنسى نبض قلبك

ولا أنسى أي ليلة

رجعت روحي ليا

وبقيت قلبي وعنيا

وللحياة وسيلة

عشنا الحب بجنونه

دوقنا طعمه ولونه

بقسوته وشجونة

وضحكته العليلة

يالى مقامك في القلب علي

ومالیش بعدك أحباب ياعلي

علي

....

عدت أتعجب كيف استطاعت فعل ذلك للمرة الأولى وهي مجرد قارئة جيدة لكنها ليست شاعرة، فسألتها:

_ ازاي لأول مرة تكتبي شعر ويطلع بالجمال والإحساس ده يا حبيبتي؟

_ أنا ما فكرتش كتير، أخدت اسمك وأضفت عليه إحساسي والكلام اللي بتمنى أقوله ليك، ولسه عندي كلام كتير لكن مش عارفة أعبر.

وتتبع كلماتها وصفاً عن شغفها بي وتواصلها الروحاني معي قائلة:

_على فكرة أنا كنت حاسة بيك وأنت بتفكر فيا النهاردة.

سألتها متعجباً:

_معقولة؟ عرفتي ازاي؟

_ بحس بيك لما تفكر فيا كأنك معايا، روحي بتلامس روحك بتضمها وتحتويها

_ طيب قولي لي كنت بفكر فيكي ايمته؟

_ النهاردة، أكيد فترة بعد العصر لأن في الوقت ده طيفك مفارقش خيالي، كأنك معايا، قريب مني.

_أنا اتجننت بيكي خلاص يا توءمتي، أنتي عملالي سحر ولا إيه؟

_ ولا سحر ولا حاجة، كل الحكاية إني بحبك

_ وأنا رجعت بيكي لنقاء نفسي، رجعت لإحساس الرضا والقناعة، اكتفيت من الدنيا ماعدتش عايز حاجة تانية.

أرى ابتسامتها، فقد صارت سرّ سعادتي، لا يحلو يومي إلا بها، لم يهزمنا بعد ولم تفرقنا المسافات، يزداد تواصلنا الوجداني والروحاني حتى وصل العشق ذروته.

_أنا مواليد السبعينات، وأنتي مواليد التسعينات، ازاي بتحبي نفس المسلسلات، الأغاني، وقفشات الأفلام وكل حاجة بحبها، دي حاجات وقت عرضها كنتِ لسه طفلة.

_أنا أصلاً مش عايشة سني، أصحابي بيقولوا عني دقة قديمة، مش بعرف أتفاهم معاهم، متعلقة بكل حاجات زمان اللي هم يمكن ما يعرفوهاش.

عدت معها بالحنين إلى عهد الطفولة، بدأت أغني إحدى أغنياتي المفضلة بتلك المرحلة، فاجأتني ببكائها، سألتها:

_ بتبكي ليه يا حبيبتي؟ مالك؟

_ الأغنية دي بابا كان بيغنيها لي وأنا صغيرة.

_ الله يرحمه، هو توفي من كم سنة يا فيري؟

لم أدرِ لماذا رفضت التحدث معي عن والدها تماماً مثلما سألتها عن أخوها الوحيد عبد الحليم، حينها بكت ورفضت التحدث عنه، حتى حينما أرسلت لي صورة عائلية، كانت الصورة تشملها مع والدتها وأختها الكبرى وشقيقتيها الطفلتين هنا ورنا فقط، وتعاود حديثها معي عن الذكريات

_ كنت بتسمع أغاني لمين فترة طفولتك

_ كنت بعشق أغنيات عفاف راضي خصوصاً أغنية يللا بينا وأغنيات كتير غيرها زي جدو علي، إبريق الشاي، ذهب الليل، قوليلي بقا، أنتي كنتي بتسمعي مين.

_ كنت بسمع أغاني رشا رزق

_ مين رشا؟ أول مرة أسمع اسمها

_ دي اشتهرت فترة بداية الألفينات وتابعناها احنا مواليد التسعينات.

كنا شديديّ التشابه في أدق التفاصيل، فكلما كتبت رسالة أجدها تكتب شبيهتها في نفس الوقت، كان التشابه ملحوظاً وفريداً، لا شبيه لنا سوانا.

وذات مرة كنت أتصفح النت كعادتي يأخذني الحنين إلى سماع أغنيات التسعينات وتترات المسلسلات، يجول بخاطري سماع أغنيات المطربة رجاء بلمليح لكنني لم أتذكر أسماء أغانيها، كنت أستعين بفريدة، فكانت أقرب إلى نفسي مني، تعلم عني مالا أعلمه عن نفسي

_ فيري، عندي حنين أسمع أغاني التسعينات بس مش مركز، تفتكري أسمع إيه

_ تعرف مطربة اسمها رجاء بلمليح؟

_ أيوة، سبحان الله، أنتي ازاي عرفتي إني بفكر فيها؟

_ مش قولتلك يا بونتي أنا حتة من قلبك بحس بأدق تفاصيلك.

أدركت أنني أعيش الحب الكامل الناضج بأدق تفاصيله، أعشق تفاصيل حبها لي وحبي لها، تلونت حياتي بصبغة عشقها. وبعد قضاء خمسة أشهر بالمملكة العربية السعودية قررت العودة إلى مصر في موعد غير منتظر، فقد

كانت عودتي المعتادة قرب حلول شهر رمضان من كل عام، لكنني أود العودة لرؤية فريدة

_ توءمتي، أنا نازل أجازة خلال أسبوع

_ أنت بتتكلم جد يا علي؟ بس ده مش ميعاد أجازتك

_ عايز أشوفك يا فيري

_ أنت بتشوفني كل يوم وبتتكلم معايا، اصبرعشان تقدر تعمل أي مشروع وترتاح من السفر نهائياً.

_ أنتي الحلم والمشروع والمستقبل.

تبتسم قائلة:

_أنت الحب جننك خلاص

_أنا وأنتي اتجننا سوا يا توءمتي، هطلب منك طلب بسيط.

_ اطلب روحي ما تغلاش عليك ياعلي

_أنا عايز الميدالية بتاعتك، اللي على شكل قلب لما يفتح ألاقي صورتك جواه.

_ أيوة بس دي مش قيمة، نفسي أجيب لك حاجة أجمل وقيمة أكثر.

_ لا، أنا مش عايز غيرها، كفاية إن صورتك جواها.

وفي اليوم التالي تتصل بي

_بونتي

_أيوة يا توءمتي

_ عايزاك تعمل نيو لوك وأنت جاي المرة دي

_ ازاي؟

_ تحدد ذقنك، ماتحلقاش خالص، شكلك بيها هيكون أجمل.

أراها عبر المحادثة المرئية وهي تقتص القماش الأسود، وتأتي بالقماش الملون المستخدم لبطانة ماتصنعه من ملابس وتكتب عليه بطبشور الشمع الملون.

"بحبك يا علي"

ضحكت مرحاً وعشقاً بتفاصيل غرامها الطفولي بالنسبة لي وسألتها:

_ أنتي بتفصلي إيه؟

_ بفصل جاكيت رجالي لأجمل حبيب في الدنيا

_ليا أنا؟ أنا مش بحب الجواكيت، بحب أكون بسيط أكثر

_هيليق عليك جداً يا بونتي، وتبقى حاجة مني معاك، بتحضن جسمك طول الوقت.

عدت إلى مصر الحبيبة، وتأتي فريدة إليّ بعد عودتي بأسبوعٍ واحد، تحمل معها الجاكيت الأسود الذي صنعته لي والميدالية التي تحمل صورتها، كما ذهبت لأحد المتخصصين في طباعة الصور الشخصية على الأكواب الخزفية، وتطبع صورة كفينا على اثنين منهما، أحدهما لي والآخر لها.

استقبلتها بترحاب طفل صغير يستقبل أحضان والدته العائدة إليه بعد غيابٍ طويلٍ بالأحضان والقبلات، وكأنما تمتلك الحياة بأسرها بين ذراعيها. قبلت هداياها ومنحتها هداياي المكونة من أشياء بسيطة معظمها تشبه لون الشات الأخضر الثابت بيننا، اصطحبتها لترى بيتنا وشارعنا القديم والمدارس الخاصة بي في مرحلتي الابتدائية والإعدادية، سرنا سوياً في جميع أماكن ذكرياتي المحببة، صنعنا يوماً آخر يشبه الحلم الجميل كعادتنا حين لقائنا.

أعود لأجد أمي قد رأت الهدايا التي منحتنيها فريدة، وتسألني:

_أنا سألتك عنها يابني وقولت إنها أخت زميلك بالغربة، لكن أنا حاسة وشايفة غير كده.

لم أستطع الكذب على أمي وأخبرتها بالحقيقة لأسمع منها ما لم أكن أتوقع

_ يعني هي بتيجي من مصر عشان تشوفك ياعلي؟

_ أيوة يا أمي.

_أنت عندك بنات، تقبل إنهم يعملو كده لما يكبرو، واحدة منهم تروح تقابل شاب من بلد بعيد عنها.

_ لا يا أمي بس فريدة بنت بميت راجل.

_ أنا عارفة إنها كويسة وبنت ناس، لكنها لسه شابة، في مرحلة مراهقة، حرام تبهدلها معاك كده.

_أنا ناوي أتقدم لخطبتها لما الظروف تسمح.

وأنهيت حواري مع أمي بعدم ارتياح فقد كنت لا أتقبل فكرة ابتعادي عن فريدة مهما كانت الظروف والأسباب.

....

"فريدة"

_ شوفي يا ماما صاحبتي جابتلي إيه.

_ ماشاء الله، تسلم إيديها ويسلم ذوقها.

وتأتيا الطفلتان هنا ورنا لمشاركة فريدة سعادتها، وبعد الانتهاء تحادثهم الأم.

_ كفاية كده يا بنات، قوموا ذاكرو عايزة أقعد مع فيري لوحدنا.

وبعد ذهابهما تحاول الأم احتواء ابنتها، والتحدث معها والاطمئنان عليها قائلة:

_ فيري، يا قلب ماما، أنا من فترة شايفة لمعة عيونك، شايفة ابتسامتك منورة وشك زي البدر، أنا الأول كنت مسمياكي عُقد لأن التكشيرة وشيل الهم كانوا طابعين الحزن على ملامحك، كنتي تباني أكبر من سنك بكتير، دلوقتي رجعتي البنوتة القمراية الصغيرة وفرحتك نورت جبينك من تاني، يا ترى هتفتحي قلبك لماما وترحمي خوفها عليكي ولا هتتكسفي مني؟! وبين حيرة فريدة بين رغبتها في إعلام والدتها بقصة عشقها وبين استحيائها منها لم تجد مهرباً سوى البوح، فأعلمت والدتها بكامل قصتها، لتشهد ردها.

_ الحب جميل يابنتي بس لما يكون فيه تكافؤ، أنتي بالذات عقلانية عمرك ما مشيتي ورا مشاعرك، فكري كويس لأن الحب سلاح ذو حدين، لو استخدمناه صح يحمينا ونعيش بيه في جنة ولو أسأنا استخدامه بيقتلنا زي ما حصل معانا أنا ووالدك، وأنتي أكثر واحدة فينا بتدفعي الثمن.

تصيح فريدة دفاعاً عن حبها:

_ لا يا ماما، علي هو الظل والسند، هو الأمل في بكرة، هو الحلم الجميل اللي اتمنيت ربنا يحققه

_ ربنا يجعل نصيبك وحظك أحسن مني يابنتي.

تعود فريدة إلى عقلانيتها الرافضة للحبِّ لكيلا تقع ضحيته كوالدتها، تنحي القلب وما حواه من المشاعر جانباً وتمنح العقل النصيب الأكبر من قراراتها، في تلك الفترة تلاحظ والدتي تعلقي بأشياء فريدة الجميلات، تلك الميدالية التي تحمل صورتها وتراني أشرب الشاي وتقع عيناها على صورة يدينا المطبوعة على الكوب، تخاطبني:

_ إيد مين اللي فإيدك ياعلي؟ فريدة؟

_ لا يا أمي دي صورة عادية المج بيخرج من المصنع كده

_ ياه، بتكذب عليا ياعلي أنا فاهمة كل حاجة، ومفيش أم بتوه عن تفاصيل ابنها مهما كانت بسيطة

_أنا آسف يا أمي، ماقصدش أزعلك

_ أنا شوفت كمان صورة فريدة في الميدالية اللي بتنام وأنت حاضنها بإيديك.

وبعد دقائق من الصمت والتركيز نظرت والدتي أرضاً ثم قالت لي:

_ كسر الميدالية والمج ياعلي وخلى البنت دي ما تجيش هنا تاني

أستقبل كلمات أمي البريئات كطعنات الخناجر، أعلم حسن نواياها ولكن حبي لفريدة أصبح لا غنى عنه كالماء والهواء وبصوتٍ مختنقٍ أقول:

_ ليه بس يا أمي؟ أنتي كده بتظلمينا وبتحكمي علينا بالموت

_ لا يابني، أنا أم، وبخاف عليها أكثر منك لأنها بنت، لكن لما تبقى صورتها في حضنك وإيدك في إيدها من غير زواج يبقى عيب وحرام، أنت عندك بنات، اتقِ ربنا فيهم، اللي هتعمله معاها هيقعد لك فيهم، كسر الأصنام دي وراعي ربنا فيها ياعلي

نظرت إلى أمي، لا أنكر صحة كلامها اقشعر بدني حزناً وخجلاً وأنا أقول

_ أنا بحبها يا أمي، وقولت لك هتقدم لها لما الظروف تتحسن

_ايمته؟ وهي بتصرف على بيت وأخواتها أطفال ومن محافظة بعيدة عننا، ياريتها كانت قريبة مننا تربي أخواتها وتشيلهم في عينيها وهي معاك هنا، اسمع كلامي وكسر الأصنام دي ياعلي

كانت أمي تقصد بالأصنام كل ما يحمل صورة فريدة وأحتفظ أنا به وأعشقه حد الجنون، أعلم أنها محقة، وأعلم أن فريدة لأجلي تضحي بالكثير.

وبعد أيام تدعونا مدام كريمة لحفل زفاف أخيها الأصغر، اتفقنا أنا وفريدة على حضور الحفل سوياً بإحدى قاعات الأفراح الكبرى الشهيرة بأحد ضواحي القاهرة.

تلاقينا في حفل الزفاف لنعيش سوياً أجمل الأحداث وأحلى الذكريات حالمين بأن يمنحنا القدر ساعات شبيهات بمثلها، حرصت على الذهاب إليها بإطلالة ترتضيها كما تخليت، بينما هي كانت تفوق القمر جمالاً في ذلك اليوم رغم عدم تكلفها، وقبل بدء الحفل قام بعض أصدقائي من خلال مجموعة (دقات قلب) الذين تعرفت عليهم مسبقاً وحضروا ليشهدوا الزفاف بدعوتي للذهاب معهم إلى مقهى سياحي كبير حتى يبدأ الحفل رافقتهم وتبعتني هي وإحدى صديقاتها، وحين رأت ما نفعله أتت لتحادثني منفردة بي:

_ علي، أنت بتشرب شيشة ليه؟ أنت مش مدخن أصلاً

_عادي يا فيري، هم عزموني أشرب معاهم قهوة وشيشة، وأنا وافقت وماقدرش أنسحب.

_ حاضر يا علي، أنت حر، بس ماتزعلش من اللي هعمله

_ هتعملي إيه يا مجنونة؟

_ هطلب شيشة تفاح زيك، أنا حرة

_ أنتي مجنونة فعلاً

_ لو أنت خايف عليا بلاش تعمل حاجة تضر صحتك، لأني هعمل كل حاجة زيك، لو عايز تئذيني ومش خايف عليا ائذي نفسك.

ونفذت ما قالته حقاً لإجباري على عدم فعل ذلك مجدداً، ويبدأ الحفل ونذهب سوياً، أحسست بغيرتها حين شهدت الزفاف، رأيت عينيها الناظرتين بشغف لرداء الزفاف الأبيض، نظراتها لفرحة العروسين ببعضهما ويعتليان كراسي الزفاف كأنهما ملكان يعتليان كراسي العرش في أبدع حلتهما، وعقلها الشارد حلماً نحو ذلك اليوم، بكامل تفاصيله الجميلة، سألتها:

_ أكيد بتحلمي باليوم ده يا فيري

_ أكيد، اليوم ده حلم كل البنات

_ بإذن الله هيتحقق ويبقى أجمل يوم في حياتنا

_ ايمته ياعلي؟

_ مالك يا فريدة، حاسس إنك متغيرة، أنتي عارفة إني بحبك و..

تقتطع كلامي قائلة:

_ عارفة أنك بتحبني، لكن أنت عملت عشاني إيه؟

_ أنا قلبي وعمري ملكك يافريدة، الظروف لو تسمح أطلب إيدك الوقتي

_ ولو الظروف عاندتنا، هنعمل إيه؟

لم أشعر بالحسرة إلا منذ هذا السؤال، فإن ظروفها هي العائق الأكبر لكن حقها أن تجد من ينتزعها ويعاونها على كل تلك الظروف فهي مازالت الفاتنة في عمر الزهور، ونهرب سوياً خارج حالة اللوم تلك لأعلمها أنها كانت تفوق العروس وكل الحاضرين جمالاً تردد قائلة:

_ وجودك رجع البسمة والجمال لملامحي، زمايلي وأهلي لاحظوا إني اتغيرت للأحسن، ياللي حياتي في حبك جميلة.

عدنا من الزفاف صانعين يوماً آخراً من أجمل أيام عمرنا بما صنعناه مجدداً من أجمل الذكريات، تعلم أمي أنّ غيابي غير المعتاد عن البيت لم يكن إلا لرؤية فريدة، تشفق علينا رافضة مجمل أوجاعنا ولكنها التزمت الصمت ولم تعد تتحدث.

عادت فريدة إلى بيتها، تطمئن عليها والدتها وتسألها:

_ عملتي إيه في الفرح يا فيري، يارب تكوني سعيدة يابنتي

_ يااااه يا ماما، أنا طايرة من الفرح، كانت ليلة من ألف ليلة وليلة

_ ويا ترى شوفتي مين هناك من أصحابك؟

تعلم فريدة دهاء والدتها تلو ذلك السؤال فتتناسى سعادتها الجامحة لتخاطب والدتها قائلة:

_أنا عارفة أنتي تقصدي إيه ياماما، علي كان موجود فعلاً واتقابلنا بس كلامنا كان عادي جداً

_أنا واثقة فيكي يا فيري، عارفة إنك جدعة وبميت راجل، لكن عايزة اطمئن وصلتو لإيه.

_مفيش جديد يا ماما، أنا مقدرش أتجوز وأسيبكم لحد ما أخواتي يكبروا ويعتمدوا على نفسهم

_ يعني ما ينفعش تتجوزو ويعيش معاكي هنا فترات ومع أهله فترات

_ أكيد لا يا ماما، والدته ست كبيرة وبناته أطفال، هم محتاجين إنه يتجوز واحدة تراعيهم كلهم

_عالعموم يابنتي ربنا كبير، قادر يدبر كل شيء

وحفاظاً على إعفاء فريدة من الحرج الذي انتابها حين سألتها والدتها عما حدث راحت والدتها تنتقي مواضيع أخرى لتتحدث مع فريدة لتشعرها أنها واثقة فيها وغير غاضبة عليها فتقول:

_ عرفتي أن سعاد بنت عمك الكبير الحج عبد الدايم هتتجوز خلال أيام

_ بجد، حد منهم اتصل ولا إيه يا ماما؟

_ أيوة، سعاد نفسها اتصلت على التليفون الأرضي كانت عايزة تكلمك

_ طيب ليه ما كلمتنيش عالموبايل

لتبدأ والدة فريدة إعلامها بما سمعت من سعاد قائلة:

_ اسكتي يا فريدة، عمك كسر الموبايل بتاعها وضربها وسحلها على الأرض وإيديها انكسرت وهي حالياً تعبانة جداً.

تعجبت فريدة لما سمعت، وكانت محقة بالفعل فكيف تسمع نبأ زواج ابنة عمها وبدلاً من أن تفرح لها تسمع بنفس الوقت خبر ضربها وكسر ذراعها، فزعت لما سمعت وسألت والدتها:

_ ليه يا ماما؟ حصل إيه لكل ده

_ أنتي عارفة طبعهم في الصعيد، تتجوز ابن عمها، وهي محدش طلب إيدها من أولاد قرايبها، واتقدم لخطوبتها شاب غريب، ووالدها عرف أنه شافها وكلمها عن طريق الانترنت، رفض العريس وكان هيقتله.

_ معقولة ياماما، يعني يا إما تتجوز حد قريبها أو تعيش عانس

_ لولا إننا عايشين هنا كانوا عملوا معاكي ومع إخواتك كده

_ طيب بنت عمي المسكينة دي هتتجوز ازاي؟ ومين؟

_ هتتجوز واحد من العائلة زوجته اتوفت وعنده ٦ أولاد وعمره 52سنة

_ إيه ده، ده حرام يا ماما، حرام

_ مين يقدر يقنع عمك إن ده ظلم وحرام

_ أنا يا ماما، هو بيجي عندنا، بيحبني ويعاملني زي بنته، أنا هروح الصعيد يا ماما، بنت عمي يتيمة الأم، مفيش حد يقف جنبها ويساعدها غيرنا.

_ طيب وشغلك يابنتي، مانتي عارفة إنك يا دوب بتغطي مصاريف البيت بالعافية

تجاهلت فريدة التفكير في العمل والمال وأكل العيش وكل تلك الثوابت وما همت به فقط هو كيف تؤازر ابنة عمها في محنتها وتقف معها وردت على والدتها قائلة:

_ ما تنسيش إن عمي بيساعدنا دايماً، وهو اللي ساعدنا في جهاز أختي الكبيرة لما قعدت مخطوبة 6 سنين ومش كنا قادرين نجهزها

ردت والدتها باستنكار:

_ المساعدة دي مش فضل منه، دي من نصيب والدك في الميراث

_ عشان خاطري يا ماما، بلاش نطلع سيرة بابا ونقلب الأوجاع دلوقتي، أنا هتصل بعمي يحضر ياخذني، ومادام مشكلتها كانت بسبب الإنترنت وعمي

كسر الفون بتاعها يبقى هروح من غير فون هضرب عصفورين بحجر، هعمل الواجب مع عمي وبنته، وكمان هغيب عن كل البرامج اللي بتجمعني مع علي عشان أقدر أفكر تاني في كل حاجة، أنا محتاجة تفكير طويل في كل حاجة في حياتي يا ماما.

_ حاضر يابنتي، ربنا يريح قلبك.

تحدثني فريدة بخفة ظلها المعهود

_بونتي، ياللي حياتي في حبك جميلة

_ أيوة ياتوءمتي.

_ أنا هروح الصعيد بكرة ومش هتابع برامج اتصالات لفترة طويلة

_ ليه يا فيري، إنتي عارفة لو غبتي عني يوم بيحصل لي إيه

_ بنت عمي يتيمة الأم وعمي عايز بزوجها غصب عنها وضربها وقعت عالأرض إيدها انكسرت، لازم أكون معاها في المحنة دي

_ وإيه المانع تفتحي برامج نت ونتواصل

_ مش هينفع، عمي كسر موبايل بنته وهيرفض إني أفتح نت طول فترة وجودي هناك

_ أومال هتتواصلي مع ماما ازاي؟

_ هتصل بيها من التليفون الأرضي اللي في بيت عمي عادي لكن مش هقدر أتصل بيك لأن الأرقام والمكالمات بتظهر.

لم أتوقع استغلالها ظروف ابنة عمها للبعد وعدم التواصل، ذهبت فريدة إلى الصعيد ومرَّ على غيابها ثلاثة وعشرون يوماً، لم يغب طيفها عن مخيلتي يوماً، كنت أفتح شات الماسنجر أقرأ رسائلها، أتخيلها، وأكتب إليها رسائل يومية، لم أغب عن مراسلتها طوال فترة غيابها رغم علمي أنها لن تقرأ تلك الرسائل، حتى عادت بعدما أضناني الحنين شوقاً إليها وأفاجأ باتصالها المرئي، عادت البسمة الغائبة عن وجهي إليه واكتست ملامحي بالبهجة مجدداً، حادثتها عشقاً وشغفاً:

_ توءمتي، حمد الله على السلامة، وحشتيني أوي، بحبك

لم تستطع تقييد فرحتها فتطلق بلا عمد ضحكاتها العذبة التي أعشقها قائلة:

_ أنا قرأت الرسايل يا بونتي، وكنت طايرة من الفرح بيها وخصوصاً لما لقيتك كاتب كلمتي، "ياللي حياتي في حبك جميلة"، وسعيدة إني قدرت أختار أنقى إنسان بيعرف يحب من بين كل اللي حاولوا يتقربوا مني وخصوصاً شباب مجموعة (دقات قلب).

_غيابك عني يا فيري كان موت بالبطيء، ربنا يديم وجودك الجميل في حياتي.

_ وأنت كمان يا علي، حياتي في غيابك ضلمة، وأنا هناك كنت بعد الساعات والدقايق عشان أرجع وأقدر أكلمك تاني، ثم أتبعت كلامها قائلة:

_ المهم طمني عليك أنت، هتسافر ايمته؟

_ هانت خلاص، هسافر بعد أربع أيام

_ معقولة أجازتك خلصت بسرعة كده، عالعموم هاجي أشوفك قبل ما تسافر

_ لا، بلاش يا فيري، ده إرهاق عليكي

_ التعب وكل شيء غالي يهون فداك يا بونتي، بس لازم أشوفك وأودعك

_ وأنا كمان، ماقدرش أسافر قبل ما أشوفك، أودع عيونك حبايبي

_ ربنا يخليك ليا وعمرك ماتغيب عن عيني تاني يا حبيبي، إيه رأيك تيجي عندنا المصنع؟ وزي المرة اللي فاتت نقول إنك تاجر وعايز تعاين منتجاتنا.

وافقت، وذهبت إليها بالفعل، جلست معها كثيراً ولكن هذه المرة حدث مالم يحمد عقباه، حيث أتى أحد التجار ليحصل على حصته وكان جاراً وصديقاً حميماً لعائلة فريدة ليجدني أجلس معها ويسألها عني:

_ هو الأستاذ يبقى خطيبك يا فريدة؟

أجابته بكل خجل واستحياء:

_ لا، حضرته يبقى الأستاذ علي كان بياخد فكرة عن الأسعار لأنه بيفكر يفتح محل مخصص لتجارة الملابس الجاهزة.

أجابها ذلك الجار خجلاً بعدما أثنى على كل منا بالتحية قائلاً:

_آسف على السؤال طبعاً، وأتشرفت بمعرفة الأستاذ علي طبعاً

_ أبداً، حضرتك جاري وزي أخويا الكبير

هو يعلم أنني لست تاجراً، وإلا تسارعوا لإعطائي حصتي قبله بحسب ترتيب أسبقيتي بالحضور عنه.

"فريدة"

حبك لعلي هياخدك لفين يا فريدة، ماما عرفت كل حاجة، ومنتظرة مننا أي خطوة إيجابية، وزمايلي في المصنع أكيد لاحظوا إني مرتبطة بيه وجاري شافه النهاردة معايا، صحيح أنا حبيت علي، عشقت طيبته وحنيته وشهامته وحبه لبناته وخوفه عليهم، وقبل أي حاجة حبيت فيه الأب اللي اتحرمت منه، لكني للأسف بغير من حبه الزايد لبناته، أنا متأكدة إنه بيفكر فيهم أكتر مني، أنا لازم أعيد ترتيب حساباتي، لازم أحرر نفسي من كل القيود اللي اتفرضت عليها عشان أقدر أقرر هكمل مشواري في الحياة ازاي.

فبراير ٢٠١٧
المملكة العربية السعودية

وأثناء تدهور الأوضاع الاقتصادية مما أثر علينا سلبياً كمغتربين، تسألني والدتي عن عدم التزامي بإرسال وسداد أقساط شقتي بالقاهرة وعدم انتظامي بإرسال مصروفات البيت كاملة كما تعودنا، فأخبرها بما طرأ على حال المغتربين بالمملكة من انتكاسات قائلاً:

_ معلش يا أمي، الاقتصاد هنا منهار بسبب انخفاض سعر البترول، واستنزاف أموالهم في حرب الحوثيين، وأوقفوا كل المشاريع الإنشائية الجديدة، حتى البنك العقاري متوقف عن القروض حالياً، سوق العمل اتدمر والحالة ساءت جداً يا أمي.

_ أيوة يابني، معظم شباب بلدنا المغتربين رجعوا فعلاً، حتى شباب كانوا بيسافروا بلاد غير السعودية، رجعوا مصر وبيشتكوا سوء الأحوال هناك

_ ربنا معاهم، ادعي لي يا أمي ربنا يفرجها عليّ، نفسي أسدد أقساط الشقة وأعمل أي مشروع بسيط ولو تاكسي أجرة أو أي تجارة بسيطة، أنا تعبت واكتفيت من الغربة خلاص.

_ ربنا يوفقك ويرزقك برزقنا ياعلي، وفعلاً مها أختك بتقول إنك طول الوقت قاعد في السكن ومتابع النت.

_ أيوة، أنا عاطل الأسبوع اللي فات كامل وزمايلي هنا منهم اللي بيعطل بالأسبوعين أو أكتر.

_ أومال يابني بتعملوا إيه من غير شغل، وبتصرفوا ازاي؟

_الشغل موجود بس قليل جداً يا أمي، لكن أوقات الفراغ بنقضي معظمها على الإنترنت.

كنت ثملاً بتلك الفترة ولست بكامل اتزاني النفسي، حتى عشقي لفريدة لم يكن المخرج من تلك الحالة، بل إنني صرت أفكر أكثر، أين يصل بنا الغد من أحلام وكيف أكسر الحواجز وأطوي المسافات وأنال قربها زوجة وحبيبة، حادثتني هي:

_ علي، أنت ليه ما كلمتنيش امبارح، أول يوم مانتكلمش من بداية حبنا من سنتين

_ معلش يا فوفا، ربنا عالم أنا متدمر الأيام دي نفسياً وعصبياً ازاي، أنا تعبان جداً.

فوجدتها تترصد أخطائي لأول مرة قائلة:

_ فوفا مين؟ أنت دايماً تقول لي توءمتي أو فيري

_ أنا فاكر يا عزيزتي بس حاولت أغير شوية

_عزيزتي؟ أنا مش عزيزتك، أنا حبيبتك

_ آسف يا فيري، واضح إني فعلاً تعبان شوية، هفصل الاتصال دلوقتي وأكلمك لما أكون أحسن.

_حاضر ياعلي.

لم أكن أعلم نواياها تلك الفترة ولم تهتم بالتفاصيل أكثر هكذا

في فترة ركود العمل وعدم اتزاني تلك أقوم يومياً أصلي الصبح وأتصفح الإنترنت.

تصلني رسالة من فتاة مجهولة عبر برنامج الماسنجر

_ هاي

أنا معجبة بيك جداً وأتمنى نتواصل

لم أهتم بشأنها كثيراً ولكن ساعات الفراغ الطوال والملل لعبا دورهما ورحت أتابعها فضولاً

وترسل لي صورتها شبه عارية مستعرضة جسدها، حريصة على إخفاء وجهها.

لم أقم بالرد عليها، تتوالى في إرسال الرسائل والصور

وبعد معانات شديدة وكثيرة من الصراعات التي كانت تراودني طوال هذه الفترة بينما كانت تعانقني رغباتي التي ذقت مرارتها بسبب غربتي وعزلتي عمن تستفيض بها نفسي أستسلم لنداء رغباتي التي كادت أن تهلكني حتى انتصرت عليّ في النهاية، فأجبتها قائلاً:

_ إنتي مين؟ وعايزة إيه؟

_ أنا ليالي مهندسة مغتربة بمدينة جدة السعودية

_أهلاً وسهلاً، بس ممكن أعرف حضرتك عايزة مني إيه؟

_ أنا معجبة بيك من زمان وأتمنى فعلاً نكون أصدقاء وأشوفك

_ تشوفيني ازاي وفين؟

_أنا عارفة إنك في السعودية وأنا كمان، نتقابل كأصدقاء.

_أصدقاء؟ والصور العريانة دورها إيه في الصداقة

_ كنت عايزة أعرف بتحب البنات البدينات ولا لا

لم تكن ليالي بالجمال أو القوام الذي ترتضيه نفسي، لكنني اعتبرتها كوباً من الماء البارد أوتيته حين ذروة تعطشي واشتياقي فأجبتها

_ أيوة، بصراحة تجنني

لم تضِع الفرصة حين أعلمتها بالكذب أنني معجبٌ بها فواصلت جرأتها وكلامها قائلة:

_ يعني اتفقنا نكون أصدقاء وحبايب

_ اتفقنا

_ أوك، إيه رأيك نمارس سوا

كانت تلك اللغة التي تحدثت بها ليالي تطرأ آذاني لأول مرة، فكم كنت ساذجاً لا أعلم عن الكثير من الحماقات التي تحدث في هذا العالم فسألتها:

_ نمارس إيه؟ أنا مش فاهم حاجة

_ نمارس كل حاجة حلوة أنت بتتمناها، محادثة فيديو تشوفني وأشوفك، نتخيل إننا مع بعض فعلاً.

كنا قرابة ظهر ذلك اليوم، سألتها:

_ وإيه المانع إني أشوفك حالاً؟؟ فأجابت:

_ الليل بيكون هدوء أكتر

_ فعلاً، لكن زميلي بالغرفة في الشغل حالياً، لكن باليل بيكون موجود، اسمه حسن، صديقي من أيام الطفولة، مش لازم يعرف حاجة عن تصرفاتي دي.

تقتنع ليالي، وتتصل بي عبر برنامج الماسنجر مكالمة فيديو، أستقبل الاتصال لأراها شبة عارية تماماً.

ما أقسى غربة النفس والروح والوطن إذا اجتمعوا على شخص واحد، ما أصعب العطش، وما أصعب الفقر والافتقار إلى نعيم الدنيا وملذاتها..

تناجيني ليالي قائلة:

_ نفسي أكون في حضنك وملكك ياعلي

_ وأنا كمان ياليالي، نفسي أروي عطش جسمك وجسمي، أكون معاكي، ألمسك.

أخذت تحاورني لتعلم بعض الأمور بذكاءٍ ودهاءٍ قائلة:

_أنت ليه مش متجوز عشان تكون معاك اللي تونسك وتشبع رغباتك.

_أنا عندى حبيبة، بحلم بيوم جوازنا لكن للأسف الظروف دايماً أقوى مننا

_ممكن أعرف اسمها؟ هي منين؟ عمرها كم سنة؟

_ ليه بتسألي عنها كل الأسئلة دي؟

_ بندردش شوية عشان نتعود على بعض أكتر

_ هي القمر في علاه عمرها ٢٣ سنة، من القاهرة.

_ ممكن تحكي لي عنها أكتر؟

_ أرجوكي، بلاش نتكلم عنها حالياً، تحبي نبدأ ازاي؟ ونعمل إيه؟

لترفع برقع الحياء عن وجهها وتحدثني بلغة المتمكن مما يفعل قائلة:

_ اقعد بهدوم البيت، تخيل إنك معايا، وسيب الباقي عليا.

استجبت لطلبها، وانتزعت عني ملابسي، لم أشك في نواياها لحظة، بل عجبت لجرأتها الشديدة، أحسست اعتيادها على ذلك، فلم أخجل منها وتفاعلت معها.

لتفاجئني فريدة باتصالها

أخبرت ليالي أنني سأتم مكالمتي وأعاود وصالها.

وبدأت التحدث مع محبوبتي

_ ازيك يا أستاذ علي

_ فيري، حبيبتي وحشتيني أوي

_ حبيبة مين يا زبالة، على فكرة اللي بتكلمك وأنت قاعد عريان عشانها مهندسة ليلى جعفر، عمرها ٢٦ سنة، ومقيمة في عين شمس،

ثم أردفت قائلة:

_أنت إنسان خاين وكذاب، اخرج من حياتي ياعلي وأرجوك ماتتصلش بيا تاني.

تفاجأت بكلامها، تاهت الكلمات ولم أستطِع الدفاع عن نفسي بكلمةٍ واحدةٍ، كيف لها أن تعلم ذلك؟

كيف لها أن تصف حالي وكأنها تراني.

أنهت اتصالها بي، حاولت الاتصال بها عشرات المرات بلا جدوى

سارعت بتغيير الرقم السري لحسابي على الفيس بوك ظناً مني أنها تقوم بتشغيله دون علمي للتجسس علي

وذهبت أبحث بذهولٍ، ماذا حدث؟!!

_ ليالي، الحقيني أنا في مشكلة

_ خير حصل ايه؟

_ حبيبتي تقريباً بتفتح الفيس بوك بتاعي وتابعتنا، أنا في ورطة كبيرة.

_ معقولة، هتتصرف ازاي؟

_ أنا غيرت الباسورد حالاً، لأني كنت عامله بتاريخ ميلادها، عمري ما فكرت إنها ممكن تفتح حسابي من ورايا.

_ حاول تكلمها تاني

_ حاولت كتير طبعاً، لكنها مش بترد عليا، بس أنا مش هسكت هحاول استفزها بأي أسلوب عشان ترد عليا.

أرسلت مقطعاً صوتياً إلى فريدة عبر الماسنجر قائلاً:

_ الوداع يا من كنتي حبيبتي، اللي تخون الأمانة وتفتح حسابي من ورايا وتتجسس عليا تبقى إنسانة مش كويسة.

لم ترضَ فريدة إهانتي لها بعد أجمل قصة عشق دامت عامان

اتصلت بها مجدداً فأجابتني:

_ نعم يا علي، بتقوللي يا من كنت، أنت عايز مني إيه؟

_ عايز أعرف ازاي تتجسي عليا

فأجابتني بصوتٍ ثائرٍ وقلبٍ ممزق

_ قطع لسان اللي يقول إني أعمل كده، أنا مش خاينة ولا دي أخلاقي

_ أومال عرفتي ازاي؟

_اسأل نفسك

_ طيب، فين التسامح والوفاء يا فريدة، إنتي ليه قاسية عليا كده؟!

_ يا خسارة يا علي، كل حياتي معاك دموع، الخيانة في دمك وطبعك مش هتتغير.

_ اعذريني يا فريدة، أنا إنسان، بضعف ساعات، الغربة ضيعت أجمل سنين عمري، وزوجتي ماتت، عشت حياة صعبة

_ الخيانة مالهاش مبررات يا علي وأنا مش هأقدر أسامحك

_ فكري كويس يا فريدة، وأرسلي لي صورنا لأني حذفت الشات اللي بيننا وقت غضبي وكل الصور اتحذفت

_ أنت حر، احذف اللي تحذفه، لكن دي ذكرياتي مقدرش أفرط فيها.

أحسست بغضبها من كل شيء، تأكدت من عدم فتحها حسابي الخاص وعدم تجسسها علي، ورحت أتساءل إذاً كيف علمت، لا بد أنها من أرسلت ليلى التي ادعت أن اسمها ليالي لاختباري. تحدثت إلى ليلى

_إنتي اسمك ليلى أحمد جعفر؟

وكانت المفاجأة حين ردها حيث قالت:

_أيوة

_ دارسة هندسة وعمرك ٢٦ سنة

_ أيوة فعلاً

_ ازاي فريدة عرفت تفاصيلك دي كلها، هي أكيد صاحبتك، أنتم متفقين عليا؟ وهي اللي طلبت منك تختبريني؟

فأجابتني ليلى بما لم أكن أتخيله قائلة:

_ أنا هكلمك بكل صراحة وأتمنى تثق فيا

سمعتها وكأنما أطاحت بي في الهاوية، وكأنما صوبت بصدري سهام العالم كاملة، لماذا يحدث ذلك لي أنا من بين كل رجال العالم؟

ماذا فعلتُ؟ أيحدث كل هذا لي لأنني وقعت ضحية نزوة عابرة على مواقع التواصل الاجتماعي، إذا كان هذا جزائي، فأين جزاء الممارس بالواقع فعلاً، أين جزاء هاتك الأعراض والمتحرش والمعتدي؟ أين جزاء السارق والحارق والمفسد والقاتل؟ لم أنكر خطأي ولكن لماذا أنا؟ أي رياح غدر تلك التى أطاحت بي وأوشكت على الدمار والقطيعة بيني وبين محبوبتي. وأكملت حديثها:

_أنا عارفة فريدة لكن أنا وهي مش متفقين عليك ولا حاجة

_ إيه، تعرفي فريدة ازاي؟

_ هي صديقتي من زمان بس أنا لما حاولت أكلمك ده كان من غير علمها، كنت نفسي أتعرف عليك مش أكتر.

تمزق قلبي حزناً على ما وقع على عاتقي من هذا الذنب ومن هول نتائجه ومن هول وقعه على فريدة قائلاً:

_ يااه، تتعرفي عليا، وصديقتك، حسبي الله ونعم الوكيل فيكي يا شيخة، ربنا ينتقم منك.

_أنا مكنتش أقصد، أقسم لك كنت عايزة أتعرف بيك وبس

_ تقسمي على إيه؟ إنتي شيطانة، خلتيني أظلم فريدة وأفكر إنها بتتجسس عليا وحذفت الشات اللي ثابت بيننا من سنتين عليه صورنا ومشاعرنا وذكرياتنا، حسبي الله ونعم الوكيل فيكي يا شيخة.

وقمتُ بحظر ليلى من التواصل معي، فتقوم بمحاولة الاتصال بي من خلال حسابها الثاني على الفيس بوك، وترسل لي قائلة:

_أقسم بالله أنا كنت بحاول أتعرف عليك، لكني مش متفقة مع فريدة ولا أحب أؤذي حد

_ إنتي مجرمة وظالمة، ربنا ينتقم منك

وقمت بحظر حسابها الثاني، حاولت التواصل مع فريدة مراراً وتكراراً، بدأت تستقبل محادثاتي ولكن للرد ببضع كلمات تعلمني من خلالها رفضها بالعودة لحبي، شهران من الألم والأحزان، كنت أصحو كل ليل أبكي فراقها واشتياقي لها، أطلب منها إرسال إحدى الصور التي التقطتها لنا بين الأهرامات وفي حديقة الحيوانات، أطلب منها أن ترسل لي تلك الأغنية (أنا نفسي نبعد عن عيون الناس شوية، وأحط رأسي على كتفك وأغمض عنيا) التي قامت بإضافتها إلى ألبوم صورنا سوياً، وتعبر كلماتها عن مشاعرنا، لم أعد أسمع

كلماتها الساحرات. يا بونتي، ياللي حياتي في حبك جميلة. لم أجد ملاذاً من الجرح إلا العودة لكتابة الشعر أخاطب السطور والكلمات، أحادثها وتحادثني. كتبت في عشقها مجموعة قصائد بالعامية. أولهم كانت باسم "فريدة" وعندما قرأتها وتحدثنا قلت لها:

_أنا كتبت القصيدة دي في حبك يا فريدة، فاكرة لما كنتي تقرأي قصيدة أنا عائد أيام وفاة أخويا علي وتتمني إني أكتب لك قصيدة زيها؟

_أيوة يا علي، القصيدة روعة، ربنا يخليك ليا.

_ للدرجة دي يا فريدة، مش هاين عليكي تقولي يا حبيبي زي الأول

_ غصب عني أنت كسرت قلبي، جرحتني

_ سامحيني يا كل عمري، وأنا عمري ما هغلط تاني أنا بحبك يا فريدة.

_ بلاش تجيب سيرة الحب الفترة دي يا علي أرجوك، خلينا أصدقاء وأخوات.

_ حاضر يا فريدة، المهم إنك تكوني موجودة في حياتي ما تبعديش

كتبت في هوى فريدة حوالي عشرة قصائد في ذلك الوقت، وبعد فترة يأتي عيد ميلادها فكتبت لها إحدى قصائدي بالعامية لعلها ترى في أشعاري مالم يقدر على النطق به لساني فكتبت فيها قائلاً:

...عيد ميلادها

بعد فترة من فراقنا مش كبيرة وهي فاكرة إن كل مشاعري ماتت...

دق بابي اليوم ده جدد كل جرح وكل ذكرى من لياليا اللي فاتت...

النهاردة عيد ميلاد روحي اللي بعشقها بجوارحي ولسه باقي...

النهاردة عيد ميلادك ياللي ساكنة جوة قلبي من هنا ليوم التلاقي...

بدعي يوم عيدك تعيشي ميت سنة يا أم النوايا الطيبة...

وتكوني دايماً بالهنا متبسمة ومن كل قلب قريبة...

عيد ميلاد سعيد يا قلبي وكلّ عمري...

عمر جديد مديد يا فرحي ومالكة أمري...

ربنا يجمل حياتك طول حياتك وف سمايا تبقي قمري...

عقبال السنة اللي جاية ونبقى رجعنا لبعض تاني...

ربنا يخليكي ليا وبيكي تتحقق أماني...

كنت نفسي أكون معاكي ونحتفل بيه النهاردة...

وأوهبك عمري وصبايَ وأكتبك أجمل حكاية وأرسمك بالحب وردة...

يااااه لو أبقى اليوم ده شمعة منورة قدام عنيكي توهب الأفراح إليكي وتوهبي ليها الحياة..

ولا أكون صورتك وأنتي بتضحكي وتكون ملامحك بالجمال والحسن قصة تتحكى والهيام واصل مداه...

ياما فكرت النهاردة في عيد حبيبتي نعيشه بس لوحدنا...

نهرب وننسى الوقت والناس والمكان والفرحة تسكن قلبنا...

نعمل مدينة من الخيال وتبقي سلطانة لجوارحي وشعبها الكامل أنا..

رجعي الفرح اللي كان غايب وشارد عننا...

جمعي بعطفك يا روح قلبي اللي فاضل مننا...

ما تسيبيش الحلم يهرب.. ماتقوليش الهجر أقرب... مش هينفع تاني نظلم نفسنا....

احنا الاتنين انكتب منا وعلينا فرحنا مع بعضنا...

ربنا يجمل حياتي بقربي منك مانتي عارفة إني مش هستغنى عنك عيد ميلادك لما نجمع شملنا...

عيد ميلادك مش ميلادك بس وحدك عيد ميلادك يعني عيدنا كلنا..

عيد ميلادك يعني نبضة القلب اللي وقفت تاني ترجع بيه تجدد عمرنا..

....

لكنني لم أتخلص من تلك الغصة التي بقلبي بعد، أفكر بمن أستعين للوساطة بيننا، من يعلمها أنني مهما أخطأت لا زلت أحبها، كانت حياتي بوجود فريدة أكثر استقراراً، فقد نسيت معها كل آلام الماضي، أحببتها بصدق أعادت إلى نفسي صفاءها ونقاءها، عدت إلى روح الشاعر المحب، كنت أدعو الله أن يجمعنا في الجنة وتكون حوريتي، كنت أسبح الله وأحمده كثيراً فرحاً بوجودها في حياتي، اكتفيت بها نفسياً ولم أشعر أنّ أي شيء ينقصني حتى رحت أتابع المسلسلات والأغنيات التي عشقتها قديماً، بوجود فريدة في حياتي كان لديّ إحساس بالشبع، أشعر كأنني أمتلك كل شيء في الحياة، ولا ينقصني أي شيء، فكرت ملياً بمن أستعين، تمنيت لو كنت صارحت ريهام بحبي لفريدة منذ يومها، وأستنجد بها في مثل هذا الموقف، أعلم طيبة قلب ريهام، لكن كيف تبدي طيبتها مع من كسر قلبها، تحدثت معها لكنني أحسست منها باللامبالاة، لم تعد حريصة على إسعادي ولم تلقِ لأوجاعي بالاً، فهي ليست صانعتها، يسألني حمدي عن سبب اختفائي وعن مشاركتي منشورات تتسم بالحزن وتنم عن الوجع، فأجبت:

_ مفيش يا حمدي، ظروف

_ ممكن بحكم الصداقة والأخوة أعرف الظروف دي؟ أنت أخويا وصاحبي.

_ حاضر يا حمدي، هقولك كل حاجة لأني محتاج أفضفض.

أعلمت حمدي بكامل تفاصيلنا وأرسلت إليه قصيدتين من التي كتبتهم في حبي لفريدة وخصوصاً التي تحمل اسمها فتعجب من شدة عشقي لها وهيامي بها قائلاً:

_ كل ده حب يا علي، على فكرة فريدة صديقتي من زمان لكنها متحفظة ومش بتحب تبوح بأسرارها

_ أنا عارف يا حمدي بس أنا كنت حابب أفضفض معاك

يعرض علي حمدي فكرة التدخل لمحاولة الإصلاح بيننا قائلاً:

_ تحب أتدخل وأكلمها ايمته

_ اصبر أيام يمكن ربنا يبدل الأوضاع للأحسن

ورغم إعلامي لحمدي بكامل التفاصيل وأملي بالزج به بيننا مصلحاً وصديقاً حميماً، إلا أنني شعرت بالغيرة على قلبها من كل من يحادثها حتى لو كان صديقاً بنكهة أخ بالنسبة لنا مثل حمدي، ويعلمني حمدي عن خطة ارتباطه بريهام وأنهما قررا الزواج خلال فترة لا تتعدى شهرين، فإنهما قد ارتبطا عاطفياً منذ تركتها ونبتت أولى بذور ذلك الحب حين كان يرافقها ويواسيها منذ عامين في رحلة سانت كاترين، واقتنعت ريهام بالزواج، إنها

على أتم استعداد لمشاركة حمدي أفراحه وأتراحه، ولا بأس بالمزيد من الكفاح معه حتى يستطيعا تحقيق أحلامهما.. تركت حمدي وريهام يحتفلان بأجمل ما يحمله القدر بيوم زفافهما.. تشاركت معهما رسائل التهنئة وعدت أتذكر حمدي حين سأل فريدة يوماً ما عن سبب عشقها لي وعن سبب عشق ريهام قبلها لي متعجباً، ماذا أحمل من صفات تميزني عن غيري كي يعشقانني هكذا.. وأشفق على فريدة التي تبارك زفاف صديقاتها دون أمل أن تلحق بهما يوماً ما بسبب ظروفها العائلية .

تبدلت تصرفات فريدة معي بتلك الفترة للأسوأ، أحادثها كثيراً ولا تستجيب للردود إلا نادراً، لم أجد مفرغاً لغضبي إلا ليلى، كلما تأذيت أنا من جفاء فريدة وتأخرها عني أرفع الحظر عن ليلى أوبخها وألومها وأحياناً أدعو عليها وأسبها والغريب بالأمر أنها لم تغضب وكلما سألتها عما رتبت مع فريدة لا تجب إلا بالنفي وأنهما لم تتفقا على أي شيء.

لم أستطع إيصال مشاعري لفريدة بتلك الفترة إلا من خلال أشعاري التي ادعت أنها أحبتها بشغف، ولكن كلما ذهبت أتابع منشوراتها على الفيس بوك وغيره أجدها لا تكتب إلا عن الفراق والوجع ومنها عبارات كثيرة وأهمها.. الحياة جميلة.. أنت فقط في الجانب الخاطئ من الأرض...

لو ركزت على اللي ضاع منك عمرك ما هتشوف اللي بيستناك...

لو وقعت بعد ما كنت ثابت في مكانك مش مهم، المهم إنك تقوم بسرعة، بسيطة لكن تستاهل.....

البدايات دايماً بتكون جميلة، لكن النهايات أفضل لأنها الأصدق...

وغيرها الكثير والكثير.

كنت أغضب كثيراً حينما أرى ذلك ولكنني كنت ألقي اللوم على نفسي التي كثرت كبواتها ونزواتها وأشفق على فريدة التي تستحق حبيباً مثالياً، لا يخطئ ولا يخون، يكتفي بها عن ذلك العالم بأسره.

قررت العودة إلى مصر لإنهاء تلك الفترة العصيبة ومحاولة لإصلاح علاقتي بمن أحب "فريدة" مالكة القلب وآسرة الفؤاد

بعد عودتي بأيام تأتيني فريدة زائرة استقبلتها، أعلم أنها ما جاءت إليّ إلا لأنها تحبني، كنت أخشى لقاءها هذه المرة كيف لي أن أثبت أمام لوم عينيها اللتين أعشقهما، لم نتبادل كلمات العشق منذ ذاك الوقت إلا من خلال قصائدي تحدثنا لعلنا نستطيع تضميد جراحنا.

_ نورتي بيتي وحياتي من جديد يا فريدة، أنا كنت بتعذب طول فترة خصامنا فتجيبني بحزن ولوم قائلة:

_ أنا جاية دلوقتي عشان أعرف، مصيرنا مع بعض إيه يا علي.

_أنا ماليش غيرك في الدنيا يا فريدة، فاكرة لما كنتي بتقولي إنك تعوضيني عن أبويا وكل اللي خسرتهم في حياتي؟

_ فاكرة يا علي، بس قلبي لسه موجوع خايفة أتوجع منك تاني

_ ذهبت إليها ضممتها في صدري، لم أدرِ كان لدقائق أم لساعات لكننا لم نفق إلا بعدما ذابت كل أوجاع قلبينا، فما لأحدنا دواء أشفى ولا أجمل من حضن الآخر.

وتبعت كلامها قائلة:

_أنا لسه زعلانة برضو

ابتسمت لها بعشق واحتواء قائلاً:

_ لا، أنتي مش زعلانة خلاص، الحضن ده قال كل الكلام اللي جوانا مهما حاولنا نظهر غيره

تبسمت أيضاً معاتبة باستحياء:

_ لا، ده بس تأثيرك عليّ

_ فريدة، أوعديني ما تبعديش عني

_ ماقدرش أسيبك يا علي لأني فعلاً محتاجة وجودك في حياتي.

تذكرنا كم من المرات سألتها التمسك بي مهما أخطأت وأعدها بالتعفف لأجلها وكانت دائماً تردد نفس الإجابة...

ازداد حبي لها أضعافاً تلك الفترة واقترب شهر رمضان وتلاقينا فيه.

تلاحظ أمي تمسكي وعشقي لأشياء فريدة تخاطبني لائمةً

_أنت لسه بتقابلها وتسمح لها تيجي هنا؟ ايمته علاقتكم هتبقى شرعي يا علي؟!

_ كل شيء بأوان يا أمي

_ يبقى تكسر المج والميدالية، كسر الأصنام دي يا علي لحد ما ربنا يلم شملكم أو يكرم كل واحد منكم بالي يكمله.

كانت والدتي كثيرة التعب تلك الفترة، لم يمر أسبوعٌ دون الذهاب إلى طبيب أو أكثر، بدأت تتمالكها أمراض الشيخوخة فهي تجاوزت السبعين من عمرها وهن عظمها وخارت قوتها، انشغلت عن فريدة بمراعاتها، رغم التزام أخوتي برعايتها لكن بحكم وجودي بمصر تلك الآونة.

سافرت بعد شهر رمضان بعدما تركت مع فريدة يومان آخران من أجمل أيام حياتنا سوياً.

عدنا نتواصل يومياً ونستخدم ألقابنا الثابتة

وبعد سفري بثلاثة شهور فقط تتصل بي أختي مها لتعلمني ما آلت إليه حالة والدتي الصحية من تدهور حادثتني باكية:

_أمك تعبت أوي يا علي، الدكتور بيقول عندها أورام خبيثة مضاعفة وحالتها متأخرة، هي حالياً مش بتاكل، عايشة على المحاليل والمقويات.

تلقيت كلمات أختي بوجعٍ يشابه وجعها، قد كانت أمي هي الأم والأب والحضن والعائلة بأكملها لدينا، ليس لنا بعد الله سواها فاتخذت قراري

_أنا هنزل أجازة عشان أخدم أمي يا مها.

_ لا يا علي، أنت لسه مسافر وكلنا عارفين أزمة العمل عندك واحنا معاها باستمرار مش بنسيبها.

فاضت عيناي بالدمع وأنا أحادثها

_ ازاي مش عايزاني أشوفها، أخدمها في أواخر أيامها، أشبع منها يا مها، أمي حبيبة قلبي ونور عيني

تحاول مها إقناعي بالبقاء وعدم العودة إلى الوطن قائلة:

_ يا علي، هي لو شافتك جيت بسرعة هتعرف إن دي نهايتها خلاص

نويت التصرف بما أراه مناسباً دون الاستناد إلى رأي أحد مخاطباً مها كذباً:

_ حاضر يا مها، أنا هعمل اللي يرضيكم

وذهبت إلى كفيلي بذلك اليوم وطلبت منه منحي إجازة للعودة إلى مصر ولم أستغرق يومين حتى عدت إلى بيتي لأجد أمي حبيبتي صريعة الفراش لا تقوى على الحركة.

عانيت الأمرين بتلك الأيام، عرفت أنّ ألم الأم نارٌ تحرق قلوب أبنائها وضعفها بعد قوةٍ انهيارٌ لعزائمهم.

لازمتها قرابة شهرين متتاليين أسهر ليلي كاملاً ربما أنام ساعات قلائل حين وجود أخوتي لخدمتها نهاراً وربما لا أنام، انشغلت عن فريدة بذلك الوقت فلم أتواصل معها إلا ربما مرة واحدة بالأسبوع. سألتها يوماً:

_ فريدة، أنتي أكيد مسامحاني على تقصيري في حقك لأنك عارفة إني بسهر طول الليل جنب أمي مش بقدر أسيبها

_ أيوة، عارفة يا علي ومسامحاك

وكنت أتابع أخبار أصدقائي حمدي وريهام من خلالها وعلمت أنهما أنجبا توءم منذ أيام.. وهبهما الله ولداً أسموه علي الدين انتساباً لاسمي وابنة أسموها فريدة.. تعجبت من ذلك كثيراً لكنني أعرف شهامة حمدي وعشقه لنا، وكذلك ريهام التي رغم كل ما فعلته بها إلا أنها مازالت تعتبرني الأخ الأكبر لها وتعتبر فريدة شقيقتها وليست مجرد صديقة.

كنت أود رؤية فريدة ولكن حالة والدتي الصحية كانت متدهورة فلا أستطيع مغادرتها ولو لساعات، رحت أستعين بفريدة لتعاونني على إمكانية رؤيتها قائلاً:

_ هقدر أشوفك ازاي يا فيري؟ يا ترى هتيجي عندنا البيت زيارة زي كل الأجازات اللي فاتت؟

_ لا يا علي، مش ها أقدر

_ليه يا فريدة؟

_ لأن والدتك تعبانة وأكيد زائرينها كثير جداً، هنقول لهم أنا مين؟

_ خلاص، فهمت قصدك يا فريدة

ومش هزعل من عدم حضورك

كانت والدتي تسألني عن فريدة كلما رأت قلادتها في يدي أو رأتني أشرب الشاي في الكوب الذي يحمل صورة يدينا

وأثناء إحدى سهراتي برفقة أمي أتصفح الإنترنت. تصلني رسالة عبر الماسنجر من إحدى فتيات قريتنا "ميت العامل"، أخذني الفضول للتواصل معها ومعرفة ماذا تريد فقالت لي:

_ ازيك يا أستاذ علي

_ أهلاً وسهلاً بحضرتك

_ آسفة على اقتحام الخاص وإني بكلمك لأول مرة بدون ما تعرفني

_ حصل خير، بس ممكن أعرف حضرتك مين وعايزة إيه؟

_ ينفع أكلمك فيديو عشان نتعرف بشكل أفضل؟

تذكرت ما حدث لي منذ عشرة أشهر مع ليلى جعفر التي كان دخولها حياتي أكبر لعنة فلم أعد أمنح الأمان لأحد، فأجبتها قائلاً:

_ آسف حضرتك، مش بكلم حد فيديو

_ ولا يهمك، بس أنا عارفة أخواتك كلهم وجيرانك

وذكرت لي أسماء الجميع بالتفصيل، أخذني الفضول لأحدثها وأراها رأيتها وكأنما كانت بدراً في ليل تمامه، اتخذت من ماء البحر لوناً لعينيها، ومن أشعة الشمس خيوطاً تنسدل من رأسها فوق كتفيها ومن القمح ونور القمر مزيجاً يصنع لون بشرتها أما عن طولها ورشاقتها فهي أشبه ما تكون بفريدة، أجبتها:

_ حضرتك عايزة مني إيه؟

_أنا عارفة إن حضرتك أرمل وبتسافر السعودية

_أيوة

_ أنا ممرضة بعمل في السعودية من كم سنة والدي كان مرافق معايا محرم. لكنه دلوقتي تعبان مايقدرش على السفر

_ ربنا يشفيه، لكن أنا ممكن أساعد حضرتك ازاي؟

_ أنا عارفة إن طلبي غريب جداً لكن الغربة علمتني أكون جريئة

_ اتفضلي، وأوعدك لو كنت أقدر أساعدك، مش هتأخر

_إيه رأيك نتجوز وتكون أنت المحرم ليا، أنا أقدر أسافر وأنت هناك تتابع شغلك ومسؤولياتك برضو.

ذُهلتُ لما سمعت، لكن لم تكن لدي أي فرصة لاختيارات، أنا أعشق فريدة، لا أريد سواها، هي الوحيدة من اجتاح وجودها كياني، هي مَن اكتفيت بها عن هذا العالم، لن أخون وعودنا مهما رأيت من مزايا غيرها.

ولكن العقل يستوقفني للحظات، إنها ابنة قريتي، وليس لديها أي التزامات، لم تباعدنا الحدود والمسافات، لم أهتم بأمر سلوى حتى مر يومان وأجدها تحضر بيتي برفقة والدتها زائرة لأمي، وليس هذا غريباً فأنا لم أعرف كل أهالي القرى المجاورة بينما يعرف جيل آبائنا بعضه البعض ويذهبون لزيارة بعض حين المرض ولو بعد غياب طويل عن التواصل، كنت أترك الزائرات من النساء برفقة والدتي في غرفة نومها وأجلس أنا بغرفة الاستقبال.

أتت سلوى تستأذن الدخول حيث أمكث، رحبت بها وتحدثنا

_أنا آسفة على طلبي، ماكنش ينفع أتكلم في أمور زي دي وأنت مشغول بتعب والدتك وحزين عشانها

_ أبداً، أنتي إنسانة محترمة، عايزة تحافظي على فرصة السفر عشان تساعدي أسرتك وتحققي أحلامك، وأكيد عندك أسباب كتير إنك تفكري بالارتباط من رجل في الأربعين رغم وجود شباب كثير يتمنوا جمالك. لكن قرار الارتباط مش سهل.

تقاطعني قائلة:

_ محدش يعرف الخير فين، لكن طول مالشمس بتشرق كل يوم يبقى كل يوم فيه حلم جديد وأمل جديد.

ذهبت سلوى وهي تعلم أنني لا أفكر بشيء سوى مرض والدتي.

وبعد مرور أيام تركت أخوتي برفقة والدتي وقد عاد أخي محمد من سفره لرؤية والدته والاطمئنان عليها رغم أنه كان يصطحب أسرته معه في الكويت حيث كان يعمل هناك محاسباً، وقد رتب حياة كاملة لأسرته هناك وكان لم يأتِ لزيارة مصر قبلها بأعوام، وذهبت مع أحد الأصدقاء نجوب شوارع قريتنا

نتذكرعهد سيرنا فيها حين كنا صغاراً، أستمد بعض البهجة لأقوى على استكمال ما أتيت من أجله.

وأثناء سيرنا وجدت سلوى تقف بجوار والدها أمام بيتهما، ألقيت عليهما السلام فأعلمت والدها عني ليجتذبني لضيافته، أنا ورفيقي لكي نشرب الشاي معه.

وجدت من خلقها وجمالها ما ترتضيه نفسي، لكنني لم أجبها بالموافقة. فأنا لا أريد سوى فريدة.

ويشتد المرض بأمي فأمكث برفقتها طوال ليلي ونهاري أياماً حتى يأتي ذلك اليوم بكل أوجاعه.

فارقت أمي الحياة، غابت عن الدنيا من كان يكرمني الله لأجلها.

رحمك الله يا مَن كنتِ في قلبي النبض وفي حياتي الروح وفي عينيّ الضياء.

رغم تمزق القلب أشلاء كنت أستجمعُ ما بقي مني لأقوى على استكمال مراسم عزائها على أفضل حال.

وبعد وفاتها بأسبوعٍ واحدٍ، وقبل موعد سفري للمملكة بثلاثة أيام تواصلت مع فريدة:

_ البقاء لله يا علي، أنا عارفة هي كانت غالية عليك قد إيه

_ حياتك الباقية، أنا شبه ميت يا فريدة، أظهرُ للناس إني متماسك لكن من داخلي منهار، حابس الوجع والبكاء جوا قلبي عشان بناتي صغار لو شافوا دموعي هيتأثروا.

_ لا يا علي، أنت أقوى من كده بناتك بيستمدوا قوتهم منك خليك قوي عشانهم

_ تخيلي، بناتي كل يوم يسألوني، طنط فيري هتيجي عزاء نينة ايمته يا بابا؟

_ حبايب قلبي ربنا يخليهم، بس أنا برضو ما أقدرش آجي يا علي.

إيه رأيك تيجي أنت بكرة تقضي معايا يوم كامل، تغير جو تصفي ذهنك وتستجمع قواك.

لم أفكر كثيراً، أعلم أنها لا تستطيع الانضمام لصفوف المعزيين وهم لا يعرفونها، لكن حقها عليّ أن أراها، وهي أيضاً تقر عيناها برؤيتي، أطوي الوقت والمسافات لأجلها، أعلم أنني لو فعلت ذلك فإنها ستكون مغامرة عجيبة في ذلك الوقت غير المناسب، لكنني أثق في حبها لي، قررت أن أذهب إليها، أحمل إليها نفسي بكل أوجاعي وأعلم أنها الوحيدة في العالم القادرة على تضميد جراحي واحتوائي.

أعلمت أخوتي أنني ذاهب للقاء صديقٍ بالقاهرة من أجل التنزه والخروج من حالة الاكتئاب.

صحوت في الصباح الباكر احتسيت القهوة وهرولت لأصل فريدة مبكراً عسى جراحي أن تشفى بشهد لقائها؛ وجدتها تنتظرني في موقف الوصول، طار قلبي فرحاً حين رأيتها وجنَّ فؤادي. كانت لقاءاتنا دائماً في الحدائق العامة والأماكن المفتوحة أو بمقر عملها مصنع الملابس بين زملائها ولكن هذه المرة تحديداً اصطحبتني إلى إحدى الشقق بالدور الأرضي بإحدى العمارات القديمة، سألتها:

_ شقة مين دي يا فيري؟

_ دي شقة واحدة صاحبتي كانوا ساكنين فيها زمان ودلوقتي اشتروا شقة أكبر.

_ اسمها إيه صاحبتك؟

_ اسمها ليلى

_ ليلى، أوعى تكون الشيطانة اللي وقعت بيننا من حوالي سنة؟!!

_ لا يا سيدي، مش هي، ده بس تشابه أسماء

وجدتها وقد أعدت لنا وجبة الفطور وحين أغلق الباب علينا ضمتني واحتوتني بين ذراعيها قائلة:

_أنا حاسة بيك، مقدرة كل الحزن والوجع اللي جواك، بس عشان خاطري، مش عايزة أشوف دموعك عايزة أشوفك قوي وشجاع زي عادتك.

_ غصب عني يا فريدة، أنتي عارفة أمي كانت كل حياتي

_ الله يرحمها، بس ماقدرش أشوف دموعك يا علي، يا بونتي، ياللي حياتي في حبك جميلة

_ خلاص يا فريدة، مش هبكي، كفاية إنك الوحيدة فكرتي تخرجيني من حالة الاكتئاب، خصوصاً إني مسافر

_ هتسافر ايمته؟

_ بعد بكرة

_ تعرف لولا سفرك، وأكيد هترتب حاجات كتير كنت أخدت أجازة من الشغل بكرة كمان، أنت تبات هنا وأنا أروح بيتنا وأجيلك من الصبح وأقضي معاك يوم تاني كمان.

تاه عقلي فرحاً بها وعشقاً واشتياقاَ لها، إنني مقدر لكل ما تعانيه لأجل إسعادي.

_ ربنا يسعد قلبك زي ما بتحاولي تسعديني يا فريدة

قضيت معها ذلك اليوم كاملاً أذبتُ في أحضانها العذبة جميع أوجاعي.

تحدثنا كثيراً، مشينا كثيراً، اشتريت لها الورد بينما أنبتت هي حدائق عشق بقلبي وعقلي حبّاً وعطفاً واحتواءً.

كان ذلك اليوم أجمل أيامنا على الإطلاق، لم أعلم يوماً أنّ بالقلب متسع لكل تلك السعادة إلا معها، كانت حقاً تجتاح مشاعري.

أعلمتها بكل ما حدث لي فترة غيابها ووفاة أمي ولقائي بسلوى. اعترفت لها بذنبي آملاً في نيل سماحها قائلاً:

_ سامحيني لأني كلمتها مرتين، ويمكن بدون قصد فكرت فيها شوية.

وأعلمتها عن سوء حالتي النفسية حيال مرض أمي وعن دوافعي وأسبابي للتحدث مع غيرها فتجيبني قائلة:

_ أنا مسامحاك يا علي، ويكفي اعترافك ليا

_ أوعديني ما تبعديش عن حياتي يا فريدة

_ مليون مرة أقولك ماقدرش أبعد عنك لأني محتاجة وجودك في حياتي يا بونتي، ياللي حياتي في حبك جميلة.

عدت إلى بيتي ورتبت حقائب سفري، وبالفعل سافرت في اليوم التالي، أتواصل معها أحياناً وكانت آخر مرة تتصل بي هي بعد سفري بخمسة أيام، تحدثنا وتذكرنا لقاءنا الأخير والأجمل، وتعجبنا، كيف كلما عشنا يوماً جميلاً ظننا أنه سيكون أجمل أيام حياتنا ليأتي يوم آخر بعده ويشهد أن القادم أحياناً يكون الأفضل وأن مشاعرنا لا زالت تحمل لبعضنا الكثير.

وفجأة وبدون إنذار، أحاول التواصل معها يومياً كالعادة، فلا أجد منها اهتماماً، لم ترد على رسائلي أبت التواصل معي عشرة أيام متتاليات. بدأت أعلمها بغضبي واستيائي جراء إهمالها، إلى أن بدأت الرد:

_ أنت عايز إيه يا علي؟

_ عايز أعرف أنتي مش بتردي عليا ليه؟ مالك؟ عايز أطمن عليكي، ولو زعلانة مني أعرف زعلانة ليه!!!

_ أنا مش زعلانة بس إنساني يا علي عشان أنت تكون أحسن وأنا كمان أكون أحسن.

_أنساكي؟ أنساكي ازاي يا فريدة؟

حصل إيه عشان تقولي كده؟

_خلاص يا علي أنا مليت وزهقت واتخنقت.

_زهقتي مني أنا ومن حبنا يا فريدة!! أنتي أكيد ما تقصديش، أكيد عندك مشكلة كبيرة، أنا مش هزعل لازم أتحمل غضبك يا حبيبتي لأني ماليش غيرك وأنتي كمان مالكيش غيري.

أنهت فريدة الاتصال دون أن أعلم ما بها، ظننت أنها بحالة غير جيدة ربما أصابها ضرٌ أو مشكلة ما.

لم أغضب منها لكني كنت غاضباً لأجلها أتمنى أن أطمئن عليها، لم أكف عن سؤالي عنها يوماً، وذات يوم حاولت الاتصال بها. قطعت اتصالي دون أن ترد وأرسلت لي مقطعاً صوتياً تقول:

_ أنت بأي حق تتصل؟ عارف لو اتصلت هنا تاني أنا هعمل إيه؟

ثم تبعت جحودها قائلة:

_ ده مش بيت باباك عشان تتصل في أي وقت، عايز تكون موجود كصديق عادي، أهلاً بيك، لكن تطمع في غير كده أنا هعمل لك بلوك.

تلقيت كلماتها كطعنات السيوف، لا حول لي ولا قوة إلا بالله

آهٍ يا فريدة، ما أقسى طعنة الغدر حين تأتينا من يد الحبيب، ما أبشع الظلم حين يأتينا ممن كنا نظنه ولياً حميماً، ما أصعب أن يأتينا الموت بيد من كان يتفانى يوماً ليهبنا الحياة. إنه الفراق الذي أتاني زائراً دون سابق إنذار.

يصفون الموت أنه فراق الروح عن الجسد، ونسوا أنّ مجمل الموت من مجمل الفراق؛ فما الموت إلا فراق وما الفراق إلا موت ولو لم تصعد الروح إلى السماء ولو لم يدفن الجسد تحت التراب.

أبى عقلي أن يستسلم لفراق فريدة، لم أصدق ما حدث، أعلم أن هناك لغزٌ دفعها لتفعل ذلك ولكنني لم أستطِع التحدث معها فلم تعد تقرأ رسائلي، تذكرت صديقتها ليلى التى كنت أرفع الحظر عنها كلما ضاقت بي نفسي لأوبخها لما أصاب علاقتي مع فريدة من خلل بسببها. وتذكرت ما حدث بيني وبين ليلى منذ خمسة أشهر أو يزيد حيث تحدثنا:

_أهلاً أستاذ علي، حضرتك رفعت الحظر عني ليه؟ عايز تتكلم معايا؟

_أيوة يا ليلى، عايز أعرف إيه سرّ عداوتك ليا؟ أنا عمري ما ظلمت حد فتجيبني ليلى عن سرّعداوتها الذي لم أكن أتوقعه يوماً ما.

_ يمكن عمرك ما ظلمت حد فعلاً، لكنك كنت سبب في كسر قلب بكر

_بكر، مين بكر؟ أنا معرفش حد بالاسم ده

_ بكر أخويا الكبير، كان بيحب فريدة أربع سنوات ولما عرفتك قررت الانسحاب المفاجئ من حياته.

_وعشان كده حاولتي تدمري علاقتي بيها

_ أبداً، وعشان تتأكد من حسن نيتي أنا عايزة نتقابل أنا وأنت وفريدة، هاقنعها بالصلح

_ تفتكري فريدة هتوافق إننا نتقابل بعد اللي حصل؟ أنتي أكيد بتهزري.

وعند زيارتي لمصر كانت تتصل بي ليلى، لم أعلمها عن تصالحنا أنا وفريدة، فليس عندي ثقة بها لأعلمها وعندما أصرت على لقائي ادعيت عدم الفراغ حتى سافرت مجدداً.

حينما تذكرت ذلك قررت التواصل مع ليلى دون إعلامها عن قرار فريدة، فهى أقرب صديقاتها إليها، رفعت الحظر عن ليلى وسألتها:

_ ازيك، عاملة إيه

_ كويسة الحمد لله، أنت ليه كنت بتتهرب من مقابلتي وأنت في مصر

_ كنت مشغول جداً صدقيني، كنت عايز أسألك عن فريدة أخبارها إيه؟؟

أخذت تسألني عن فريدة وكأنها تود معرفة شيئاً ما قائلة:

_ فريدة؟ أنت آخر مرة كلمتها ايمته؟

أجبتها باستسلام فليس لي سبيل للاطمئنان على فريدة سواها.

_ من أيام لأن واضح إنها تعبانة أو مشغولة، حبيت أطمئن عليها من خلالك

_أنت قابلت فريدة في شقة لوحدكم قبل كده

ثرتُ غضباً لما أحسست من تجسسها علينا وانشغالها بأمرنا، إنني ما راسلتك إلا من أجل فريدة وليس لمنحك فرصة أخرى للإطاحة بنا والتجسس علينا، فأجبتها متعصباً:

_ فريدة أطهر منك ومش بتقابل حد في شقق واتفضلي احظريني عشان ماقدرش أتواصل معاكي تاني مهما كانت الأسباب

_ أنت حر، بس أنا باقية عليك كصديق مهما عملت

_ أنتي إنسانة منافقة، معدومة الإنسانية والكرامة

_ شكراً لذوق حضرتك.

وقامت بحظري، فلم يعد لي سبيلاً لمعرفة أخبار فريدة بعدها.

وفي اليوم التالي وجدتها رفعت الحظر وراسلتني

_ حضرتك غلطت فيا امبارح، أنت لو قابلتني كنت وثقت فيا وعرفت إن فكرة حضرتك عني خطأ.

يجب عليّ التودد إليها، ربما أجد لمبتغاي سبيلاً

_ آسف يا ليلى سامحيني

_ حاضر، أسامحك، بس أوعدني تكون صريح معايا عشان أقدر أساعدك

_ حاضر، أوعدك

_آخر مرة اتكلمت مع فريدة ايمته؟؟

_ من حوالي عشرة أيام

_ أوك، ليه أنكرت إنك قابلتها في شقة لوحدكم

_ إيه فايدة السؤال ده؟!

_ لأن الشقة دي شقتي، وأنا عارفة كل حاجة

رغم ذهولي من معرفة ذلك الخبر إلا أن فضولي لمعرفة أخبار فريدة لم يدعني أطرق أي أبواب حقائق أو شكوك، كل ما يهمني هو الاطمئنان عليها والتواصل معها، رحت أصارح ليلى، لعلها تمنحني رداً شافياً لجراحي تخبرني به أن فريدة مازالت تحبني، لكنها ربما كانت تمر بإحدى الأزمات التي ستنتهي بالقريب العاجل.

_ فعلاً حصل، لكن أرجوكي عايز أفهم إيه حصل لفريدة

_ إنسى فريدة يا علي، فريدة ارتبطت خلاص

لم أصدق ما قالته ليلى كعادتي تجاهها وصرخت فيها قائلاً:

_ دي حيلة تانية، بتعملي كل ده عشان أبعد عن فريدة وترجع لأخوكي

وأنهيت المكالمة وأعصابي ترتجف لبشاعة ما سمعت رغم عدم تصديقي له.

فكرتُ في الاستعانة بصديقي حسن

_ حسن، أنت لسه مشترك في مجموعة (دقات قلب).

_ أيوة يا لول لكن مش متابعها، اشمعنا؟

_ تمام يا حسن، أنا عايز أعمل حساب فيس بوك وهمي وتضيفني تاني للمجموعة دي.

ونفذنا ما اتفقنا عليه فعلاً، وأسميت حسابي الوهمي قلب فيري لكي تعلم إذا رأته أنه أنا، وأنني لا زلت أحبها.

ولكن يشهد هذا اليوم أكبر شرخاً في جدار قلبي، وانشقاق قلبي نصفين كان ذلك اليوم هو١٣ يناير ٢٠١٨

وبدأت الفاجعة، اكتشفت أنّ فريدة قد عاودت استخدام حسابها الوهمي الذي ألغته منذ ثلاث سنوات تعففاً واستغناءً عنه لأجلي، فقد اكتفت بي حبيباً ولم تعد بحاجة لذلك الحساب، أرسلت لها طلب صداقة وعندما رأت الاسم علمت أنه أنا فوافقت على الفور، ليس تمسكاً بي ولكن من أجل إعلامي بما لم أرَ منذ بضعة أشهر، رأيتها وقد كتبت منشوراً وتشاركته على صفحتها منذ حوالي شهرين، وأثناء تواجدي بمصر لرعاية أمي حينما اشتد مرضها وقبل وفاتها.

لأجدها تقول:

مش عارفة اللي فكرت فيه صح ولا غلط. يمكن نخسر حاجات حلوة كثير لو انسحبنا من حياة ناس بتحبنا، لكن ده ممكن يكون أفضل لهم عشان يبدأو حياة جديدة مع ناس تانية أنسب وأفضل.

تلقيت كلماتها كطعنات الحناجر مجدداً، احتبست أنفاسي وارتفعت درجة حرارتي وتملكت الحمى جميع أعضاء جسدي، وتذكرت ما قالته ليلى فذهبت مسرعاً أسألها:

_ ليلى، آسف على إهانتي ليكي، لكن معلش يا ليلى أرجوكي

فتجيبني حين ترى لوعتي محاولة إعلامي بالمزيد من أمور تمت بالفعل ولم أكن أعلمها قائلة:

_ مالك يا علي؟

_أنا عايز أعرف كل حاجة بالظبط، إيه اللي حصل، أرجوكي فهميني

_حاضر يا علي

فريدة قابلت واحد من عشرة أيام وارتبطو خلاص.

_ لا، أنتي كذابة فريدة مستحيل تعمل كده

فتصمت ليلى ربما عدم اهتمامٍ بي وربما تحفظاً لبشاعة ما يجب عليها أن تقول

عاودت إلحاحي لمعرفة ما يحدث

_ليلى أرجوكي، أنا بتعذب، عايز أعرف كل حاجة، أرجوكي

_ حاضر يا علي، عايز تعرف إيه؟

_ فريدة باعتني فعلاً، ولا ده اختبار جديد زي اختبار السنة اللي فاتت؟؟

لتحادثني ليلى بكل جبروت وسخرية قائلة:

_ فوق من غفلتك يا علي، بقول لك فريدة قابلت واحد من عشرة أيام وارتبطوا خلاص.

_ لا، أنتي كذابة، فريدة بتحبني ومستحيل تعمل كده.

_أنا قولت لك الحقيقة، وأنت حر تصدق أو ماتصدقش، براحتك.

_ لو كان كلامك صحيح، هو شافها فين؟ وعرفها ازاي؟

_ عرفها عن طريق الإنترنت

_ ازاي؟

وبعد دقائق من الصمت لم تجد ليلى من الحقيقة ومن إلحاحي مهرباً فأجابتني:

_عن طريق برنامج اكتشاف العاهرات القريبات والتواصل معهم.

وأرسلت لي صورة فريدة وقد أزالت غطاء رأسها وأزالت زوائد الشعر ورمز عفتها من حاجبيها العريضين، رفض العقل استيعاب ما أسمع وما أرى وهدأت نبضات قلبي عن معدلها الطبيعي وذهبت في غيبوبة عن هذا العالم، وبعد امتثالي للعلاج ثلاثة أيام بالمستشفى ذقت فيها طعم الموت مراراً بدأت مفعول العقاقير التي تناولتها يظهر بالفعل فبدأ العقل يثبت والجسد يستفيق، ليس قبولاً أو استسلاماً لأمر واقع ولكنني لم أعد أقوى على الصمود. فقد هزل جسدي وضعفت قوتي وانتابتني حالة شديدة من الاكتئاب، عدت إلى مسكني بالغربة لم يتركني حسن يوماً، حتى طلبت منه الذهاب لعمله أما أنا فقد صرت قادراً على الاعتناء بنفسي.

لم أبرح سريري لحظة ولم أغلق الإنترنت منذ عودتي، فلن يهدأ قلبي حتى أدرك كامل التفاصيل.

بعدما علمت ليلى بإغمائي أثناء محادثتها والتي استكملها معها حسن عندما أصابتني حالة الغيبوبة والاكتئاب أغلقت حساب الفيس بوك الذي حدثتني منه، فلم أستطع التواصل معها مجدداً.

ذهبت أتجسس التفاصيل من خلال منشورات فريدة

لأجد بعض التعليقات على ذلك المنشور الذي أعلنت من خلاله نواياها لفراقي

فوجدت صديقنا حمدي وقد كتب عليه تعليقاً، يقول:

_ صح، أكيد أنتو تعبتو كتير وأكيد لو استمريتو هتتعبو أكثر، بس لا.

تسأله قائلة:

_ لا يعني إيه يا حمدي، أنا مش بتكلم عن نفسي لكن بتكلم عن العموم

_ أقصد أن حتى لو كلامك صحيح هو مش هيلاقي أفضل ولا أنسب منك يا فريدة

_ شكراً على كلامك الجميل يا حمدي

ووجدت شخصاً آخر يسمى مصطفى ترك تعليقه قائلاً:

_ برافو عليكي، أوافق وبشدة

فأعلن حمدي تفاعله بالغضب على رأي مصطفى

علمت بإدراك حمدي نوايا فريدة منذ نوت الرحيل ورغم اعتراضه ومحاولاته الفاشلة في إبقائها تحت راية حبي إلا أنه رأفة بي لم يعلمني شيئاً. رحت أحادثه على الخاص:

_ حمدي، فريدة سابتني وارتبطت خلاص.

يحاول حمدي التهرب من الكلام في ذلك الموضوع قائلاً:

_ أنت متأكد يا علي، ولا دي مجرد تخمينات؟

_ للأسف، متأكد يا حمدي، أنا قرأت البوستات والتعليقات وعرفت موقفك النبيل تجاهي وإنك حاولت تقنعها بالبقاء لكنها رفضت

يستسلم حمدي لأحزاني قائلاً:

_ تحب أكلمها ياعلي ولو فيه أي مشاكل بينكم نحاول نحلها

_ لا يا حمدي، مافيش فايدة، أنا هحاول بطريقتي لكني متأكد من الفشل المرة دي لأنها ارتبطت خلاص.

_ معلش يا صديقي، كل شيء نصيب، ومادامت ارتبطت بغيرك حاول تستسلم للأمر الواقع وغير اسم حسابك ده، وسيبها تعيش حياتها.

كان يقصد تغيير اسم قلب فيري

_ حاضر يا حمدي، هاغيره

وأعلمني حمدي أن أبنائه التوائم بحالة غير جيدة، حيث ولدا هزيلي الجسد لم يكتملا وزناً أو نمواً

عدت أتابع منشورات فريدة على حسابها الوهمي لأجدها قامت بمشاركة بعض الصور ليدها ممسكة ببعض الشيكولاتة الفاخرة التي تعشقها، وكتبت قائلة:

أجمل هدية من أغلى إنسان، ميرسي يا أحلى مصطفى.

ظننت كل الظن أن مصطفى هو غريمي الحالي، أرسلت له طلب صداقة بهدف التتبع والتأكد، فوافق على إضافتي لقائمة أصدقائه، ووضعت تعليقاً على منشور صور الشيكولاته التي تشاركته فريدة على حسابيهما قائلاً:

ألف مبروك وربنا يتمم بخير..

رفضت فريدة الرد، و تابعت بعض التعليقات لدى مصطفى لأتأكد إن كانت ظنوني خاطئة أم صائبة، وبعد فترة تواصلت معه ورحت أتحدث معه قائلاً:

_ مصطفى، أهلاً بحضرتك صديق.

_ شكراً

ثم أردفتُ قائلاً:

_ وألف مبروك على الارتباط.

ليسألني بحزم وثبات:

_ تقصد ارتباط إيه حضرتك

_ أنت وفريدة

_فريدة مين؟ ومين قال إني مرتبط أصلاً، حضرتك مين وعايز توصل لإيه؟

_آسف، واضح إني أخطأت بدون قصد

_ بقصد أو بدون قصد، حضرتك إنسان غامض وغير صريح، أتمنى منك عدم التواصل معايا تاني إلا لما أعرف حضرتك مين وعايز إيه. وبعد حوالي ثلاثة أسابيع من الاختفاء عادت ليلى تفتح حسابها فقمت بمراسلتها.

_ ليلى، غبتي عني كتير، عايز أسألك الشخص اللي فريدة ارتبطت بيه اسمه مصطفى

_ لا..

_ بس أنتي لما كلمتيني قولتي إنها قابلته من عشرة أيام

_ فعلاً كلام صحيح

_ أنا تابعت بوستاتها على حسابها الوهمي، عرفت إنها قابلت مصطفى من عشرة أيام فعلاً

_ أنا هسأله إن كان له حساب وهمي باسم مصطفى ولا لا..

وعادت لتعلمني أنه ليس هو، جنَّ جنوني لوعة وفضولاً لمعرفة من ذلك الطرف الثالث الذي اختطف مني فريدة

وذهبت أتحرى الحقائق من خلال مصطفى

_أستاذ مصطفى، آسف إني اقتحمت الخاص مرة تانية

_ اتفضل حضرتك اتكلم لكن ياريت تكون واضح وصريح عشان أقدر أساعدك

_ حاضر، بس أوعدني حضرتك أن فريدة ماتعرفش حاجة عن حوارنا

_ أوعدك، اتفضل اتكلم

أعلمته عن حبي لفريدة وأنني ما أردت سوى التأكد فقط من أنّ ما سمعته عن خبر ارتباطها حقيقياً أم أنه مجرد حيلة لعينة من ليلى للإيقاع بنا. فقابل صراحتي بالتوبيخ والإهانة واتهمني بالتطفل...

رغم عدم تقبلي للأمر الواقع إلا أنني رحت أستجمع بقاياي، راسلتها

_ فريدة، أنتي حرة في اللي عملتيه لكن بستأذنك، ابعتي لي نسخة من صورنا سوا، عيشي أنتي الحاضر براحتك وخليني أعيش على ذكرى ماضي كان جميل لحد ماقدر أتجاوز محنتي وكانت الفاجعة، فأجابتني فريدة بكل قسوة وجبروت قائلة:

_ معنديش صور، كلها اتحذفت

جنّ جنوني، وطار عقلي فأنا من جيل وفئة ليسا من محترفي استخدام برامج الإنترنت لذا فقد فوضت فريدة أمر الاحتفاظ بجميع صورنا وجميع قصائدي في عشقها. كدت أبكي حزناً على ذكريات جميلة خيم عليها الحزن ومزقها الفراق، قد حملت تلك الصور التي حذفتها تفاصيل أجمل أيام عمرنا وأنقاها، ورغم غضبي عدت أتوسل إلى فريدة:

_ خلاص يا فريدة مش مهم الصور، ابعتي لي نسخة من القصائد اللي معاكي

_ مافيش قصائد، اتحذفت هي كمان.

انتابتني حالة من القهر والغضب، لم أصدق أنّ من كانت برقة الزهور تفصح عن وجهها الآخر وتقوى على فعل كل ذلك بي، فصرخت وأنا أحدثها حزناً وألماً

_ أنتي فعلاً عملتي كده؟ حذفتي صوري؟ حذفتي أشعاري اللي كتبت كل حرف منهم بنقطة من دموعي ونقطة من دمي، حذفتي أجمل ٣ سنين من عمري بأفراحي وأتراحي وأشجاني، حسبي الله ونعم الوكيل فيكي يا فريدة.

تقابل حسرتي بضحكات لعينة تخلو من الشفقة والرحمة قائلة:

_أنت بتتحسبن فيا؟ يا بابا اللي يتحسبن ده المظلوم لكن أنت ظالم وخاين.

عجز لساني عن التحدث ولم أعِ كيف كانت تخرج الكلمات من قلبي تترجمها يداي دون أن يفكر بها عقلي وكتبت لها حسبي الله ونعم الوكيل أكثر من

عشر مرات على التوالي، ثم أغلقت الهاتف المحمول ونمت أبكي جفاء من مزقت قلبي بيديها، تدهورت حالتي الصحية أكثر مما دفع صديقي حسن للاتصال بأخي أحمد لإحضاره لمرافقتي فهو مغترب بالمملكة مثلنا، وتتصل بي أختي مها حين علمها بذلك لتطمئن عليّ

_ مالك يا علي؟ سلامتك.

_ الله يسلمك يا مها

_ طمني عليك يا حبيبي، إيه سبب تعبك وأوجاعك

_ يعني ماتعرفيش إيه سبب أوجاعي يا مها؟

صمتت مها فإنها ربما كانت أعظم مني وجعاً وحزناً على فراق والدتنا، لكنها تحاول إخفاء ذلك وإخراجي من حالة الحزن وتقنعني أيضاً أنها هادئة النفس ممتثلة وراضية بقضاء الله وقدره، وتقول:

_فضفض يا علي أنا أختك وأكتر إنسانة في الدنيا ممكن أحس بيك، فأجيبها قائلاً:

_فراق أمي صعب عليا أوي يا مها، بناتي اللي اتيتموا مرتين، مرة بعد وفاة أمهم ومرة بعد وفاة جدتهم، وبيتي اللي فضي من سكانه وبقا خراب، حتى فريدة البنت اللي رسمت معاها المستقبل باعتني في عز أزمتي واحتياجي.

تقابل أختي بكائي ببكاءٍ، ولم تجد لإرضائي سبيلاً، وتشفق على ما آلت إليه أحوالنا جميعاً ثم تقول:

_ وفاة والدتك أمر صعب علينا كلنا لكنه قدر، لازم نرضا ونحمد ربنا وبناتك عند جدتهم والدة أمهم ومش هيحسوا عندها بغربة

وفريدة دى إنساها، دي خانت إنسانيتك وعهدك، باعتك في أكتروقت أنت محتاجها فيه، ماتستاهلش حزنك عليها.

أعلم أنّ كل ما قالته صحيح لكن قلبي لا زال متعلقاً بها، ذهبت أتابع منشوراتها لأعلم إلى أي حد بلغ جفاؤها لأجدها تشاركت مجموعة مقولات ومنها:

.. أنت حلم جميل، لكن مش حلمي....

...مش ذنبي إني ماقدرتش أحبك.

صحيح حياتي معاك كانت جميلة، لكن قلبي ماقدرش يحس بيك...

... الملتفت لا يصل ....

.... طول مانت متعلق بالماضي عمرك ما هتقدر تشوف المستقبل....

أغلقت الهاتف حزناً وغضباً لما رأيت منها، حتى غلبني النعاس على حزن ودموعي تملأ خديّ، جاءتني والدتي زائرة في منامي

كنت معها بغرفتها أجلس على سريرها وهي تحاول الوقوف دون جدوى وأتحسس خروج روحها صعوداً من قدميها اللتين باتتا لا تقويان على حملها مروراً بجسدها نحو رأسها ساندتها فتقع على السرير وتحتضر من جديد، كنت أبكي بمرارة عليها، أمى تحتضر ولا أعلم ماذا أفعل لها، فصحوت فزعاً لأبحث عن تفسير الحلم، وعلمت أن الموتى يشعرون بنا وأن والدتي تعلم حالتي وحزينة لأجلي، ورحت أحادث فريدة لأول مرة بعدما علمت بحذفها للقصائد والصور:

_ فريدة، ازيك

_ كويسة، افرح يا علي ربنا تقبل دعائك عليا أصبت ومحتاجة أعمل جراحة..

وبرغم ظلمها لي إلا أنني حزنت لأجلها فأنا لست بالشامت أو ناكر الجميل، أردت الاطمئنان عليها، فقلت لها:

_ألف سلامة عليكي، مالك؟

_ وقعت على سلم بيتنا حصل عندي شرخ في غضروف الركبة.

_ بعد الشر عنك، لكن أقسم لك بالله إني عمري ما تمنيت لك الأذى وأتمنى تسامحيني لو كنت أخطأت في حقك، لكن طمنيني، فيه أمل في الشفاء بالأدوية ولا إجراء الجراحة أمر ضروري؟؟

_ لا مفيش أمل، الدكتور قال لازم جراحة

_ هتعمليها ايمته؟

_ أنا حالياً بخضع لعلاج طبيعي ٣ مرات في الأسبوع وبعد فترة الدكتور يقرر

_ وشغلك يا فريدة؟

_ للأسف، مضطرة أنقطع عن العمل لاستكمال فترة العلاج

_ ربنا يتم شفائك على خير ولو محتاجة أي حاجة أنا أخوكي وتحت أمرك.

حاولتُ التعايش والتأقلم لكنني لم أستطِع، هناك نوع من الفراق نذهب إليه بإرادتنا واختيارنا وهناك نوع آخر نجبر عليه، حينها نفقد صوابنا نتألم كثيراً، ربما نبكي، ولكن بالأرجح أننا لم نعد بطبيعتنا كما كنا في السابق، حاولت التحدث إلى صديقي حمدي لكي أفضي إليه لعله يشعر مابي من ألم

_ أنا موجوع يا حمدي، مكنتش أتخيل أن فريدة تعمل كده!!!

ليفاجئني برده ببرود لم أعهده على حمدي قائلاً:

_ انسى الموضوع ده واحظرها من جميع برامج الاتصال عندك

_ ماقدرش أعمل كده، مهما كان دي فريدة

_ اسمع كلامي يا علي

_ آسف يا حمدي، أنا كنت عايز أفضفض وأتكلم معاك يمكن أرتاح

_ لا يا علي، مافيش داعي، الفضفضة مش بتفيد ولا بتحل مشاكل

_ حاضر يا حمدي، مش هتكلم تاني في الموضوع ده...

ليت الجميع يعلمون أن من حق المتألم عشقاً أن يبكي، ومن حقه على رفقائه احتواء ألمه والإنصات إليه. أسامحك يا حمدي رغم خذلانك لي، وعلمي بولائك لريهام وفريدة أكثر مني حتى قبل زواجك بريهام.

ازداد تواصلي مع ليلى بتلك الفترة وسألتها عن صداقتها مع مصطفى لتخبرني:

_اللي ارتبط بفريدة حالياً مش مصطفى ..

تفاجأت بردها، لو لم يكن مصطفى إذاً لما تقابلا هو وفريدة وأهداها الشيكولاتة وامتدحت ذوقه أمام الجميع وسألت ليلى:

_ ازاي؟ أومال قابلت مصطفى وقبلت منه هدايا ليه؟

تصرخ فيّ قائلة:

_ فوق من غفلتك يا علي، أنت صعبان عليا وأنت في الموقف ده وبالسذاجة دي

_تقصدي إيه يا ليلى؟ أنا مش فاهم حاجة

_ أقصد أن الإنسان اللي ارتبط بفريدة اسمه نور، عمره ٢٩ سنة حاصل على بكالوريوس علوم، وبيعمل أخصائي تحاليل طبية وأنا كنت شاهدة على ارتباطهم، وأنت لا تعني أي شيء لفريدة بالمرة.

وحينما استحلفتها أن تخبرني بالحقيقة كاملة، أجابتني:

_ نور يبقى ابن خالتي، كان ساكن الأول جنبنا في عين شمس لكن حالياً ساكن في المعادي وبيزورنا كل أسبوع ومايعرفش أن بكر كان بيحب فريدة.

_ تمام، لكن أنتي ازاي بتقولي أن ارتباطهم تم في وجودك

_ هو اتعرف على فريدة عن طريق برامج تعارف على الفتيات القريبات، واتفقوا يتقابلوا ولما أرسلوا لبعض طلبات صداقة على فيس بوك، صداقتهم ظهرت عندي في الإشعارات اتصلت بنور وسألته، ازاي حصل التعارف ولما سألني عن رأيي فيها قولت له كل حاجة عنها وأنها كانت بتحبك وأنها كانت

معاك قبل لقائهم بأيام، نفس اليوم اللي اتقابلتوا في شقتي، وقلت لها أنا هقول لعلي إنك ارتبطي وهي سكتت يعني ماعندهاش مانع أنك تعرف.

هكذا قالت ليلى وأنا أصغي لها بتوجع وخزلان ثم قلت لها:

_ تمام، يعني اتفقتوا عليا أنتم الثلاثة

_ اتفقنا عليك ازاي؟

_ فريدة خانتني وقابلت شخص تاني وارتبطت بيه قبل ما تنهي علاقتها بيا، ونور وافق يرتبط بيها رغم إنك كلمتيه عني لكنه كان أناني، فكر في نفسه بس، وحضرتك اتطوعتي تبلغيني بكل حاجة عشان أبعد عن طريق صديقتك وابن خالتك وما فكرتيش إني مدبوح وأمي يا دوب اتوفت وقتها من أيام، حسبي الله ونعم الوكيل فيكم كلكم.

_أنت ليه كل شوية تدعي علينا؟ وبعدين فريدة ظلمتك وأنا ظلمتك السنة اللي فاتت لكن حالياً بفوقك من غفلتك، لكن نور ذنبه إيه؟

_ ذنبه كبير يا أستاذة، كان لازم يعرف إن المؤمن لا يبيع على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه، وهو ارتبط بيها وهي لسه معايا، ولما حضرتك شايفة إني مغفل وساذج كده كنتي عايزة تقابليني ليه؟

فأجابتني ليلى بكل تبجح لا يصدقه عقل قائلة:

_ بصراحة، كنت عايزة أقضي معاك وقت لذيذ زي فريدة

تعجبت من وقاحتها وكلامها ووبختها قائلاً:

_ معقول، للدرجة دي مافيش عندك حياء؟

ردت ليلى بمنتهى الهدوء والاستفزاز قائلة:

_ لا حضرتك، أنا بجحة وطلبت ده من فريدة فعلاً وزعلانة إنها رفضت

_ أنتي فعلاً إنسانة زبالة، حسبي الله ونعم الوكيل فيكم كلكم

_ أستاذ علي، طز في زعل حضرتك، ودعواتك وكل حاجة

غضبت أكثر حين أكون المستاء والكسير ولا زلت أتلقى الطعنات، أليسوا هؤلاء بشر مثلنا، إذاً كيف استطاعوا فعل ذلك بي؟؟ ثم رددت قائلاً:

_ فعلاً أنا أستاهل الإهانة إني وافقت أتواصل مع إنسانة رخيصة زيك...

وقمت بحظر تواصلي مع ليلى ونويت عدم التواصل معها مدى الحياة، وذهبت ألوم فريدة عن كل ما أصابني من إهانات بسببها، سألتها:

_ أنا عرفت نور يا هانم، ازاي سمحتي لنفسك ترتبطي بواحد تاني قبل ما تنهي علاقتك بيا، للدرجة دي أنا هنت عليكي وكنت رخيص في نظرك؟

فتجيبني فريدة بكل صمود قائلة:

_ أنت ليه مكبر الموضوع وبتتعامل كأني غافلتك، مع إني لما فكرت أرتبط أوقفت كلامي معاك وأملت إنك تفهم لوحدك

ضحكت رافضاً ومستنكراً استخفافها بي ثم أجبتها:

_ نعم حضرتك؟ أملتي؟ بعد حب وارتباط ٣ سنين تدوسي على كل حاجة جميلة كانت بيننا وتقولي أملتي، كأنك نسيتي إني كنت بحبك ولازم أتقبل عصبيتك، وألتمس لك ألف عذر وأكون لك شعاع النور اللي ينور طريقك في الضلمة والحضن اللي يسع أوجاعك مهما غاب الجميع عنك.

_ أنت بتقول الكلام ده ليه دلوقتي يا علي؟

_ آسف يا هانم، أنا مش جاي أترجى وصالك أنا عارف إنك استغنيتي خلاص

_ أومال عايز إيه؟

_ ولا حاجة حضرتك بس كنت عايز أعرف، أنا ذنبي إيه؟ استغفلتيني وأهنتي حبي وكرامتي ليه؟

أنهيت كلامي معها دون الحصول على أية أجوبة، تعز عليّ نفسي وأود البكاء كلما تذكرت ما فعلوه

الثلاثة بي، فوضت أمرى فيهم إلى الله منتظراً وعده (وعند الله تجتمع الخصوم)، علمتني الحياة أن من ذاق طعم الظلم، لا يرتضيه لأحد، وأن من

أوجعه الفراق أيضاً لا يرتضيه لأحد، تذكرت بكر شقيق ليلى الأكبر، أنه الشخص الوحيد الذي ربما يكرهني حقاً ظناً منه أنني كنت أعلم ارتباطه بفريدة ولم ألقِ له بالاً مثلما فعل معي نور، قررت التواصل معه وطلب السماح منه رغم عدم علمي عن علاقته بفريدة إلا بعد ارتباطنا بعامين، ويعلم ربي أنني لا استبيح حلائل غيري، ولا أنظرن إلى ما جعله الله متاعاً لسواي، كنت أعرف حسابه الشخصي ولكنني لم أتواصل معه مسبقاً فبادرت وأرسلت له طلب الصداقة وحينما رأت فريدة تواصلنا ظنت أنني أحاول التواصل مع بكر استنكاراً لها واقتحاماً لخصوصيتها، حاولت إيذائي هي الأخرى، فقامت بمشاركة صورة لها على مجموعة (دقات قلب) من خلال حسابها الوهمي، وقد أظهرت الصورة نصف وجهها الأسفل وبجوارها نور يقبلها، تعجبت لما آلت إليه حالتها من تبجح وعدم استحياء لتتشارك صورة من يقبلها بين الناس حتى لو كانت تود بذلك مجرد إيذائي، قررت مراسلتها كتابياً على الخاص قائلاً:

_ زمان لما عرفتك اتكسفتي ورفضتي إني أعلن خبر ارتباطنا، ودلوقتي بتتشاركي صورك مع واحد شاب بيبوسك واتعرفتي بيه من خلال مواقع تعارف إباحية، حيائك راح فين يا فريدة؟

براءتك وعفة نفسك راحوا فين؟

لترد إلى السؤال بسؤال آخر قائلة:

_ وأنت راحت فين رجولتك لما روحت تكلم مصطفى عني؟

_أنا كلمت مصطفى عشان أتأكد أنتي ارتبطي بيه فعلاً ولا لا، لأن انسحابك كان مفاجئ وبدون أسباب، عقلي كان رافض يصدق اللي حصل ساعتها، ومصطفى أهانني بسببك.

ثم أردفت قائلة:

_ ليه قولت لليلى إنى قابلت مصطفى؟ وليه أوهمتها إنى لسه بحبك؟ عشان عايزها توصل كلامك لنور، عايز تدمر علاقتي بنور وتنتقم مني؟

أجبتها بحزن وغضب:

_ أنا عمري ما أقبل إني أكون سبب للفراق والخراب، أنا لما كلمت ليلى كنت يا دوب تايه ومش مصدق إن كل ده ممكن يحصل ويا دوب عايز أتأكد.

_أنا مش مسامحاك على كلامك وأفعالك دي يا علي، ربنا يعطيك على قد نيتك

استقبلت دعائها عليّ بالبهجة والسخرية، فأنا حقاً ممن لا يجيدون حمل النوايا السيئة حتى لأعدائهم، فأجبتها:

_ اللّٰهُمَّ آمين، ربنا يتقبل منك يا فريدة وآخد على قد نيتي، لكن لو أنا دعيت عليكي ربنا يعطيكي على قد نيتك، ودعوتي قبلت تفتكري حياتك وقتها هتبقى عاملة ازاي؟

تاهت في بحرٍ من الحيرة تود التخلص من كلماتي الثقيلات فلاحقتُها قائلاً:

_وقلبك طاوعك تدعي عليا عشان واحد عرفتيه يا دوب من شهر؟ خلاص هانت عليكي العشرة، ثم أردفتُ قائلاً: مع السلامة يا فريدة، ربنا يصون فراقك وأقدر أنساكي زي ما قدرتي تنسيني

لم يعد بقلبي حنيناً إلا لإرضاء بكر.

كنت أتودد إليه بالحديث كثيراً حتى اتخذت صداقتنا ثقة وعمقاً أكبر، وحان الوقت لأعلمه بحكايتي مع فريدة طالباً منه السماح فيجيبني:

_ مين قالك إني كنت زعلان منك وقتها؟

فأجبته قائلاً:

_ أنا عرفت إنها مع بداية علاقتنا انسحبت من حياتك بشكل مفاجئ وأكيد ده زعلك جداً.

فيجيبني قائلاً:

_أكيد اتأثرت وقتها جداً، لكن حالياً فريدة بالنسبة لي مجرد ماضي، هي عمرها ما حبتني، وأنا واثق أن عمرها ما هتكون من نصيبي

_ ليه حضرتك بتقول كده؟ أكيد بعد أزمتك معاها قدرت تشوف الحقيقة بشكل أوضح خصوصاً إنك كنت بتشوفها مع ليلى باستمرار.

وكانت الصدمة الأكبر عندما بدأ يعلمني بكامل التفاصيل وعرفت من خلال كلامه أنّ والد فريدة الذي ادعت وفاته مازال حياً يرزق

تعجبت حقاً. ماذا حدث وما الذي أسمعه هذا، ليجيبني:

_ أيوة يا علي والدها عايش، لكنه مسجون من سنين طويلة.

_ مسجون في قضية إيه؟

_ تجارة وتعاطي مخدرات، على فكرة كان بيحب فريدة أكثر من أخواتها وخصوصاً أنه اختار لها اسم جدتها فريدة

_ ازاي كانت بتحبه وبيحبها، وتستنكر وجوده وتقول إنه توفي؟

_ دي حكاية طويلة جداً يا علي

_ معلش، عشان خاطري يا بكر، محتاج أسمع وأعرف كل حاجة

وبدأ بكر يعلمني بأدق التفاصيل

_ والد فريدة كان شغال سواق لكن للأسف كان بيضيع كل ماله على المخدرات، وأيام ثورة يناير وبسبب انتشار البلطجة وانعدام الأمان، باع السيارة وبدأ يتاجر بتمنها في المخدرات، سيرته فاحت في المنطقة، والناس بلغت عنه، اتسجن وفلوسه ضاعت وفريدة ووالدتها بيشتغلوا ويصرفوا على البيت، وحالياً فريدة وحدها اللي متعهدة بكل أمور البيت لأن والدتها كبرت وتعبت.

سألته:

_ والدة فريدة إيه موقفها من كل ده؟

_ والدتها كانت من أسرة كبيرة، اتجوزت والد فريدة بدون موافقتهم لأنها كانت بتحبه. عانت معاه كثير، ورافضة كل تصرفاته الخطأ، حياتها معاه عبارة عن مأساة وفريدة أكتر واحدة اتأثرت بالمشكلة دي.

_ اتأثرت ازاي؟ ممكن أعرف؟

_ أكيد، اتأثرت إنها مستحيل تكرر التجربة تاني، رغم رقة قلبها إلا أن عقلها رافض الحب عشان ما تبقاش ضحيته زي والدتها.

ثم استكمل حديثه معي قائلاً:

_ فريدة بتحب تشوف صورة الأب في شخص حبيبها وتعوض معاه حرمانها واشتياقها لحضنه الدافي، لكن للأسف في نفس الوقت بدون ما تشعر وبسبب غيرتها واحتياجها بتنتقم من شخص والدها في كل أب حنون ومهما كانت بتحبه بتقدر تحكم عقلها وتتنازل عن الحب ده بالانسحاب المفاجئ والتفاعل مع أي بديل.

_ وفين أخوها عبد الحليم؟ كان لازم يتولى مسؤولية الأسرة كاملة في غياب والده

_ عبد الحليم كان نسخة من والده، إنسان ضعيف، كان بيحب زوجته حب مرضي عقيم، ولأنها عارفة كده استحوذت عليه، أخدته من مامته وأخواته، وده كان سبب تعب فريدة أكتر خافت الحب يجبرها تتخلى عن أسرتها.

تألمتُ لكلّ ما عرفته عن حياة فريدة، وكأنني أعرفها لأول مرة، لن أقول خانني ذكائي، فإنه كما يقولون: "مراية الحب عمياء"، لم أرَ محاولة فريدة التنصل من حبي عاماً كاملاً حين استعانت بصديقتها ليلى العام الماضي، كنت أرى منشوراتها التي تنم عن ذلك ولكن عقلي كان يأبى أن يصدق، وها أنا الآن لا أدري، هل أنا ضحية حبي لفريدة، أم أن فريدة هي التي كانت ضحية لكل الظروف من حولها، فقاطعتُ كلام بكر قائلاً:

_ أرجوك يا بكر، كفاية، أنا كده فهمت كل حاجة

_ فهمت إيه يا علي؟

_ فريدة مش شيطان زي ما كنت متخيل لكنها ضحية جحود وضعف والدها وأخوها، صدمتها فيهم أفقدتها حتى القدرة على التسامح، بتدور عن الحب والاحتواء ولو لمست ضعف حبيبها بتقسى وتبعد مهما كانت بتتألم، وأنا كنت ضعيف، ماقدرتش أحتويها، ماقدرتش أكون الأب اللي أمسح دموعها وترمي أوجاعها بين أحضانه.

ليجيب عليّ مشفقاً ومدركاً بمأساتي وبغدر فريدة لي قائلاً:

_ ما تظلمش نفسك يا علي، أنت حبيتها بجد، وكان غصب عنك الغربة والموت والفراق دمروا حاجات جميلة كتير في حياتك وفريدة ضعفت، خانت حبك واختارت الطريق الأسهل ورفضت تكافح وتكمل معاك.

ذهبتُ ألملم أشلائي المبعثرة بيد من كانت بالنسبة لي الحياة.

استجمعتُ جميع قصائدي التي حذفتها فريدة، إلا تلك التي تحمل اسمها والأخرى التي تتحدث عن يوم ميلادها، وتذكرت أنني قد أرسلتهما إلى صديقي حمدي حين حاولت الاستعانة به العام الماضي، وبفضل حمدي استطعت الحصول عليهما. قررت صنع بدايات جديدة لربما أصنع واقعاً

أفضل، تذكرت جارة القمر التي أهملتها لأجل فريدة "سلوى"، رحت أتحدثُ إليها لعلّي أجد فيها ضالتي:

_ سلوى، ازيك، آسف على غيابي وعدم التواصل من فترة

_ ماتقولش كده يا علي، احنا أخوات وأنا مقدرة ظروفك

_ سلوى، أنا معجب بيكي جداً ممكن نتقرب من بعض ونتواصل أكتر؟

كنت أظنها ستغتنم الفرصة تحقيقاً لأهدافها، ولكن الحقيقة كانت غير ذلك

_ آسفة يا علي، مش هينفع

تعجبتُ كثيراً من تلك التي عرضت عليّ ودها وحنانها حين انشغالي بأخرى، والآن حين ذهبت الأخرى واحتجت إلى سلوى لم أجدها، هكذا اعتدت أن تأتي أشيائي الجميلة دفعة واحدة فلا أستطيع الاحتفاء بها وكذلك إن ذهبت فإنها أيضاً تذهب دفعة واحدة تاركة إياي لمعزلي النفسي وشدة آلامي، فسألتها:

_ ليه ياسلوى ممكن أعرف السبب؟

_أكيد، أنا عارفة إنك بتحب فريدة، واتحرمت منها، المحب عمره ما يكتفي بغير حبيبته ولو عرضت عليه جميع نساء الأرض يا علي.

طار عقلي ذهولاً لما قالت لم أكن أتوقع ردها ولا علمها بفريدة، وهي ابنة قريتي، فسألتها:

_ أنتي تعرفي فريدة منين؟

فتجيبني:

_ أنا ماعرفش فريدة لكن أعرف حسن.

_ حسن مين؟ تقصدي حسن صديق العمر وزميل الغربة والدراسة؟

_ أيوة، أقصده هو يا علي.

_وحسن بأي حق ينشر أسراري ويكلمك عن فريدة؟

_ أنا من شهور اتعرفت على زوجة حسن وبقينا أكتر من أخوات، وبحكم معرفتها بيك كلمتني كتير عن شهامتك وأخلاقك وبعد وفاة والدتك حاولت تكلم حسن يكون وسيط في ارتباطنا لكنه رفض ولما سألته عن السبب قالها كل حاجة عن فريدة.

أعلم أنك محقة يا سلوى فأنا لم أفكر بك إلا كبديلٍ لفريدة، يأخذني الحنين إلى فريدة التي لازلتُ أعشقها رغم علمي أنها لم تعد لي، فكنت أهرب منها إليها، وأتعفف بها عنها. خاطبتُها معاتباً:

_ الحمد لله... أنا جمعت القصائد اللي حذفتيها يا فريدة، أما الصور ربنا يعوضني عنها بالأحسن

_ تمام يا علي، ربنا يسعدك، وأتمنى تقدر تسامحني

_ أسامحك؟ أسامحك على إيه ولا إيه؟

على إنك من سنة بتحاولي تقتلي حبي جواكي لحد ما قدرتي تنسحبي وكسرتيني، أسامحك لأنك لما لقيتي البديل أنكرتي الجميل، ولا أسامحك عالوعود اللي خونتيها.

_ أرجوك يا علي، كفاية، ربنا عالم إني عمري ما فكرت أظلمك، لكن نصيبنا كده.

_ خلاص هاسكت يا فريدة، لكن افتكري دايماً

أنا الفارس اللي صمدت في أرض المعركة بطولي، وأنتي اللي خونتي الوعد وانسحبتي. واعرفي كمان إن ربنا اسمه العدل بيسقي كل واحد من نفس الكاس اللي سقاه لغيره.

ذهبتُ أتابع الإنترنت مجدداً، وبعد أن حذفت كل صور ورسائل فريدة يأخذني الحنين إليها فلم أجد سبيلاً غير برنامج الروت الذي يمكنني من استعادة الصور المحذوفة، قمت بتشغيل البرنامج واستجمعت بعض صور

فريدة السيلفي التي طالما أرسلتها لي، وذهبت أتابع مجموعة (دقات قلب) لأتفاجأ بخبرٍ غير سار...

وجدت السيدة كريمة مؤسسة المجموعة كتبت منشوراً تواسي فيه حمدي وريهام عن وفاة أحد رضيعيهما التوءم علي الدين وفريدة، وتقول إن ريهام في غيبوبة بسبب عدم تصديق ما حدث وأن حمدي رغم آلامه رفض البوح عن أي الرضيعين وافته المنية كيلا يسأله الأصدقاء عن أحد دون الآخر وأصر إخفاء المعلومة حزناً وعدم تصديق لما حدث، ورأيتُ تعليق فريدة على المنشور بالحزن قائلة:

_ يا ترى مين اللي مات، ورأيتها كررت التعليق مرات عدة وكأنها تستنجد بالحق آملةً أن يقال عن الأطفال ما تود هي أن يقال عنا ودون أن أشعر وجدت نفسي أضع تعليقي أيضاً،

_ يا ترى مين اللي مات، علي ولا فريدة؟!

قررتُ بعد هذه الصدمة عدم الاستسلام لليأس، وبرغم وعودي الكثيرة لفريدة أنني سأمزق الأوراق وأكسر الأقلام إن افترقنا، ولن أكتب الشعر بعد فراقها، إلا أن خيانتها دفعتني لصداقة الورق والقلم أكثر، ومثلما كتبتُ عنها عشقاً سأكتب عنها أيضاً في الفراق والخيانة، ولكن الثابت

والغريب أنها لا زالت رغم كل ذلك ملهمتي، وحان الوقت لاستعادة الحياة لبيتي وأسرتي واتفقت مع أخي أحمد على بعض الأمور قائلاً:

_ أحمد، أنا عايز أبيع شقة القاهرة وأعمل مشروع وأستقر في مصر

ليرحب أحمد بفكرتي ثم يسألني عن التفاصيل قائلاً:

_ مشروع إيه اللي هتعمله؟

_ هفتح مكتبة كبيرة منها قسم لتجارة الأدوات المدرسية، وقسم تاني للكتب الدينية العلمية والأدبية

_ فكرة جميلة يا علي ربنا يوفقك، لكن هتبدأ ايمته؟

_ أنا هعرض الشقة للبيع لكن هستقر هنا شهور لحد ما أكمل كتابة الرواية.

فسألني متعجباً:

_ رواية، رواية إيه؟

كان يعلم أنني لم أعد لكتابة الروايات منذ عهد طويل فأجبته:

_أنت عارف عشقي للكتابة، وأنا بكتب رواية حالياً، ولأول مرة أتواصل مع دور النشر والتوزيع وكل أملي أنجح

_ تمام، عشان كده فكرت في مشروع المكتبة؟

_ أيوة، عايز أقرأ كتير وسخرت حياتي الجاية بعد فروضي للعلم، للقراءة والكتابة وبس.

وحينما انتهيت من كتابة الرواية وافقت إحدى دور النشر على القيام بنشرها وتوزيعها، وفوضت أختي مها للتعاقد معهم وفور إنشاء نسخات قليلة كطبعة أولى للكتاب عدت إلى مصر، وطالبت أخوتي بإعادة فتح بيتي استعداداً لقدومي وأن أول من أود رؤيته على عتبة بيتي تكونا ابنتيّ هبة ومنة وقد حدث كل ذلك بالفعل، وبعد دخولي البيت واحتضانهما، دخلت غرفة والدتي، أتحسس وجودها في كل مكان، أتشمم رائحتها من خلال فراشها ووسادتها، ومقعدها وصورتها المعلقة على الحائط، ثم دخلت غرفة الاستقبال التي شهدت ذكرى أجمل اللقاءات مع فريدة، بدأت أتذكر الأحداث وأدق التفاصيل، تذكرت حين كنا نقرأ سوياً إحدى الروايات وسألتني عن معنى إحدى كلماتها قائلة:

_ نرجسية يعني إيه يا علي

فأجبتها ببراءة طفل:

_ نرجسية يعني حب النفس، الأنانية

لم أعلم أنها كانت تدرك المعنى أكثر مني، وأنها ما سألتني إلا للفت الانتباه، وكأنها تصفني بتلك الصفة، وأمسكت بذلك الكوب الذي يحمل صورة يدينا والقلادة التي تحمل صورة فريدة فتأتيا هبة ومنة، وتسألني إحداهما:

_ طنط فيري هتيجي تعيش معانا ايمته يا بابا، ياريت تيجي عشان نقعد في بيتنا وننام على سرايرنا زي الأول.

أوجع قلبي كلامها، أي ثقة تلك التي خذلتي يا فريدة، قد زرعتك وبثبات إحدى زهرات عمري وعائلتي وقلبي وحياتي كلها، لكنكِ أبيتِ البقاء واخترتي الرحيل، فأجبتُ ابنتي:

_ طنط فيري سافرت بعيد، مش هتعرف تتصل ولا هنقدر نشوفها تاني، انسوها يا حبايبي وأنا هقعد معاكم مش هسافر تاني ولا أغيب عنكم لحظة

ثم حملت حطام كوب فريدة وقلادتها وحملت الكتاب الذي يتضمن روايتي، وانسحبت دون أن يشعر بي أحد، ذاهباً لزيارة قبر أمي.

وما أن وقفت أمام قبرها إلا فاضت عيناي بالدمع وبدأت أتحدث معها لعلها تسمعني...

_أمي، وحشتيني أوي، وحشني قلبك الطيب وحضنك الدافي، وحشتني ضحكتك الحلوة وصوتك وكلامك، أنا حققت حلمي وكتبت أول رواية يا أمي وكسرت الأصنام والبنت الغريبة مش هتدخل بيتنا تاني، كل اللي فاضل منها ذكريات ويا دوب بقايا عشق، أنا هسامحها وادعي لها بالخير مهما غابت عني، لأني ابنك شبيهك واتعلمت منك التسامح، وباقي على عهدك لآخر العمر يا أمي.

الختام .....

.....

"فريدة"

فريدة ازدواج غير عقلاني

زهرة ماحبتش البستاني

حضن ماتشبعش حنان منه

مركب مابترسيش في موانى

ويا فريدة العمر بيحلا والأحلام تتجدد تاني

وقف القلم محتار يكتب حروفه ازاي بالحبر ولا بدم

ينزف حروفه بخوف

ينشد ألم مخطوف

عن قصة مالها نهاية مع جرح ما بيتلم

رغم أنها ف العشق حكاية زي خيوط الشمس بنور الحق فريدة

عقلها رافض تبقى أسيرة حب وتبقى ما بين الناس حدوتة فريدة

لما القلب يحب بقوة...

ويبقى ميزان العقل القسوة يبقى كلامي في حب فريدة

أنا البستاني والجاني زرعت الورد ورويته بنيل عمري

يتيم القلب والوجدان زهيد الصحبة والخلان رفيق الوحدة من صغري

في بستاني لقيتها ملاك فراقها هلاك عبير مالجنة جه يجري

سقيتها الحب بدموعي ولونت الحياة فيها بلون دمي

رمت خنجرها في ضلوعي وداست عالوجع بخداع بقت همي

يا بنت القلب والخاطر قتلتيني ورايحة بالجراح على فين

وهبتك عمري وسنيني ومخلص لك وبرويكي بدمع العين

وعشنا ازاي كيان واحد

بروح واحدة وأمل واحد

وريد واحد

وفجأة تقسميه نصين

رسمتك في الزمن بذرة بتطرح بالفرح بكرة

بورد وعود يعيش عمرين

تعيش الوردة فوق الغصن متصانة

حياة الوردة لو نقطفها خلصانة

قدرتي ازاي تخوني الحب وتروحي لأيد تانية

وقطف الوردة بيفرح شاريها ساعات وبعد يومين

هتدبل روحها من تاني

كل الورد بعد القطف بيعاني

تروح ريحته يفوت وقته وفوق الأرض يتحول تراب رجلين

فريدة...

فريدة ازدواج غير عقلاني زهرة ماحبتش البستاني

تمت بحمد الله

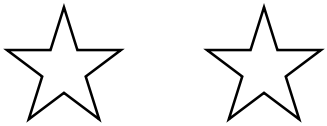

بقايا عشق- الجزء الأول
رواية
نبيل عبد الرحمن

الطبعة الأولى
1441 هـ 2020 م

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد

جوال: 00201211132879

E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com